المعاونيّة الثقافية
وحدة الدراسات والمتون الثقافية

الرَّصدُ الثَّقافيّ

نشرة داخلية دورية تعنى
برصد القضايا والاخبار الثقافية

العدد 16 - عام 2023

ورد في هذا التقرير

1. القوة الناعمة.. بنادق القوى الكبرى
2. هل مؤسّسة الأسرة في حالة تهديد؟
3. مسألة المرأة بين الإرادة السياسيّة والمحافظة الاجتماعيّة
4. الشيعية السياسية والطوائف النائمة
5. المستعرب يواجه «حزب الله» في ضاحية بيروت الجنوبية: مسلسل «فوضى» يقدّم الرواية الصهيونية للصراع
6. «نتفليكس »... صوابية سياسية ومغالطات فنية

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
مركز المعارف للدراسات الثقافية
Alma'aref center for cultural studies

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

مقدمة المركز 7

ثقافة عامة

القوة الناعمة.. بنادق القوى الكبرى 9

عمائم أوروبا السوداء.. كيف انتشر التشيُّع في قلب القارة العجوز؟ 11

هل مؤسسة الأسرة في حالة تهديد؟ 20

دراسة: بناء الوعي لدى بيئة المقاومة وتحويل التهديدات الى فرصة 23

كيف نظر الشيعة إلى الفتوحات الإسلامية المبكرة؟ 43

في نمط البناء السياسي الإسلامي وبلورة نظرية الإمام المعصوم بين السنة والشيعة 46

مسألة المرأة بين الإرادة السياسيّة والمحافظة الاجتماعيّة 48

صرخة أوليفيه روا ضد «الجهل المقدس» أو صرخة فصل الدين عن الثقافة 49

كيف دخلت الإسلاموفوبيا مرحلة جديدة؟ 57

نضال البنات الإيرانيات من أجل الحصول على الحقوق التي فقدتها أمهاتهن في الثورة 64

دين بلا إيمان 69

الشيعية السياسية والطوائف النائمة 72

شيخ المشروع الإلهي 74

قراءات «آية الله» تكشف الجانب المجهول منه 76

ترجمة عربية لكتاب «حوار بين الشرق والغرب».. كيف تؤثر الثقافات على المستقبل؟ 81

«الحجاب في الأديان والعقائد إشكاليات الجدل المعاصر»... أحدث مؤلفات هدى درويش 83

حلقة حوار ونقاش حول موضوع: «أيّ دور للأديان في بناء المجتمع؟» 85

العلاقة الملتبسة بين الدين والتديّن 89

سينما وتلفزيون

سؤال المليون: كيف نحسن صورتنا في الإعلام الغربي؟ 92

المستعرِب يواجه «حزب الله» في ضاحية بيروت الجنوبية: مسلسل «فوضى» يقدّم الرواية الصهيونية للصراع 95

«نتفليكس»... صوابية سياسية ومغالطات فنية 98

«عولمة المشاهير»... صناعة تُروج لقيم تتجاوز «الخصوصية الثقافية» 101

سفاح بإيران اقترف جرم قتل بائعات هوى باسم الرب 107

«عنكبوت مقدّس» لعلي عبّاسي.. الفيلم كإدانة 112

مسلسل «معاوية» عمل فنيّ أم عبث سياسيّ؟ 116

مقدَّمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

نضع بين أيديكم تقرير الرصد الثقافيّ الدوري عدد 16، وهو قائم عن أشهر كانون الثاني وشباط وآذار عام 2023، وقد تمّ تقسيمه إلى فصلين بحسب توزّع العناوين بشكلٍ عام والتركيز عليها في الصحف العربيّة والأجنبيّة.

تركّز الفصل الأوّل من التقرير حول مواضيع ثقافيّة عامّة، بين تصنيفات الدول الكبرى بحسب معيار القوّة الناعمة، والخوف من انتشار التشيّع في دول أوروبا بالإضافة إلى مجموعة من الدراسات التي تناولت الشيعة أثناء الفتوحات الإسلاميّة والفرق بين الشيعة والسنة في النظر إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام. أضف إلى ما سبق تناولت المواقع أيضًا مقاربة الدين والتدين من جوانبها الثقافيّة والاجتماعيّة ودور الدين في بناء المجتمع السليم؛ كما عالجت بعض المواقع قضايا مجتمعيّة تتعلّق بالمرأة والأسرة والحجاب والحوار بين الشرق والغرب؛ وغيرها باقة من المواضيع الثقافيّة المختلفة.

أمّا الفصل الثاني فقد دار حول السينما والتلفزيون كونها إحدى مؤشّرات القوة الناعمة والتي تُستخدم لإيصال الرسائل الخفيّة للجماهير حول العالم وتحسين صورة الشعوب، ومن هذا المنطلق كانت منصّة نتفلكس التي تشكّل إحدى أدوات إيصال رسائل الدول الكبرى وتعميم مفاهيمها ونمط حياتها حول العالم. من جهة أخرى نال مسلسل معاوية ضجّة كبيرة في العالم العربي ما دفع شركة الإنتاج إلى إيقاف عرضه في الموعد المحدّد وتأجيله إلى وقت آخر. أضف إلى ما سبق مسلسلي فوضى وعنكبوت

مقدّس، يقدّم الأوّل صورة مُغالطة عن الصراع مع العدو الصهيوني أمَّا الثاني فينتقد الجمهوريّة الإسلاميّة؛ مع مجموعة من المقالات التي تدور حول هذا الموضوع.

نشير في الختام إلى أهميَّة الموضوعات الواردة في هذا التقرير، وأنّنا قد نقلناها كما وردت في المواقع من دون تعديل أو تحريف، الأمر الذي لا يدل أنّنا نتبنّى أي فكرة أو رأي من الموضوعات المطروحة في التقرير.

مركز المعارف للدراسات الثقافية
Alma'aref center for cultural studies

ثقافة عامة

الرياض

القوة الناعمة.. بنادق القوى الكبرى

2023/01/19

د. فايز بن عبدالله الشهري

ملخّص:

وصل إنفاق الحكومة الأميركيّة المباشر على الدبلوماسيّة العامّة (القوة الناعمة) إلى 2.5 مليار دولار في عام 1994. واستمر على هذا المستوى في عامي 2010 و2011 وفي عام 2020 تراجع قليلا إلى 2.23 مليار دولار. ويقول تقرير لمجلة «فورين أفيرز» إنه اعتبارًا من عام 2015 خصّصت بكّين أكثر من 10 مليارات دولار (سنويًا) لعمليات الدعاية العالميّة. وفي عام 2011 أنفقت الحكومة الروسيّة ما لا يقل عن 380 مليون دولار فقط على شبكة روسيا اليوم (RT). والهدف الأكبر لهذه الدول هو إعادة التموضع في حقبة النظام العالمي الجديد. وبطبيعة الحال كانت هناك آثار وضحت في تباين المواقف الدوليّة من الحرب الأوكرانيّة حيث ذهبت دول كثيرة إلى مربع التأييد أو الحياد. أما بخصوص الصين فقد أظهر مسح أجري في 19 دولة عبر ست قارات، أن تأثيرها زاد ثلاثة أضعاف من حيث عدد الأشخاص الذين اعتبروا «نموذج الصين» متفوقًا على (نموذج) الديمقراطيّة على النمط الأمريكي.

أما بريطانيا سيدة القوة الناعمة فيكفي أن نعرف أن شبكة «بي بي سي» تحصّلت في ميزانيّة 2020 /2021 على 3.8 مليارات جنيه إسترليني من رسوم الترخيص (الإجباريّة) التي دفعها سكان بريطانيا. وهذه الشبكة الإعلاميّة الحكوميّة تبث برامجها اليوم بأكثر من 40 لغة. أمّا المجلس الثقافي

البريطاني الذراع الأقوى للقوة الناعمة البريطانيّة (تأسس في عام 1934) فيعمل اليوم في أكثر من 100 دولة في جميع أنحاء العالم في مجالات الفنون والثقافة واللغة الإنجليزيّة والتعليم والمجتمع المدني (بحسب تقريره). وفي عام 2017 كما يقول تقرير المجلس: «وصلنا إلى أكثر من 65 مليون شخص بشكل مباشر و731 مليون شخص بشكل غير مباشر». ويؤكد المجلس في تقريره أن «القوة الناعمة للمملكة المتحدة، وتأثيرها العالمي وجاذبيّتها، أمر حاسم لنجاح البلاد على الصعيد الدولي».

وتتواجه الدول الكبرى على كافة الأصعدة في حرب العقول والقلوب العالميّة هذه من خلال استراتيجيات توظيف القوة الناعمة. ومن ذلك على سبيل المثال قيام الولايات المتحدة في عهد الرئيس أوباما بإنشاء مركز حكومي متخصص باسم Global Engagement Center (مركز المشاركة العالميّة). ويهدف المركز بحسب رؤيته المنشورة إلى: «توجيه جهود الحكومة الفيدراليّة الأمريكيّة وقيادتها ومزامنتها ودمجها وتنسيقها للتعرف على جهود الدعاية والمعلومات الأجنبيّة المضللة وفهمها وفضحها والتصدي لها». وتضيف رؤية المركز أنها ستركز على تلك الجهود التي تهدف إلى تقويض أو التأثير على سياسات الولايات المتحدة أو أمنها أو استقرارها وحلفائها والدول الشريكة. ومع انتشار وسائل الإعلام والجماهيريّة العالميّة لوسائط التواصل الاجتماعي يزداد التنافس الدعائي الدولي في الفضاء الرقمي، وسيشهد صراعا مريرا، ويكفي مثالا ما يدور علنا وجهرا حول شبكة «تويتر» الأميركيّة، ومنصّة «تيك توك» الصينيّة.

قال ومضى: في حرب المعلومات الكلمة سلاح والصورة قذيفة..

الجزيرة

عمائم أوروبا السوداء.. كيف انتشر التشيُّع في قلب القارة العجوز؟

2023/3/6

انطلقت رحلة الشابة الأميركية «مايا» من جامعة «بيركلي» بولاية كاليفورنيا طالبةً في العلوم السياسية. وفي إطار برنامج للتبادل الثقافي، حطَّت «مايا» رحالها بالجنوب الفرنسي، حيث بدأت في طرق أبواب لم تدرك وجودها قبلا، وهي أبواب الإيمان بخالق لهذا الكون، كما قالت في شهادتها.

غير أن نطق الشهادتين لم يكن سوى البداية بالنسبة للشابة الأميركية، فهي وإن أدخلتها إلى دائرة الإسلام، فإنها لم تكن شافية بالنسبة لأسئلتها الكثيرة، حسب كلامها، فواصلت البحث والقراءة حتى وصلت إلى غايتها النهائية: التشيُّع. ما إن انتهت «مايا» من حكايتها التي أخذت تحكيها داخل مركز الزهراء الشيعي الواقع بمدينة «غراند سانت» شمالي البلاد، حتى صدحت الأصوات من خلفها: «اللهم صلِّ على محمد وآل محمد»، في مشهد احتفاء كبير.

شيعة أوروبا الأوائل

ساهم الوضع غير المستقر للشيعة في عدد من البلدان العربية مثل العراق وبعض دول الخليج في انتقال عدد مُعتبر من الشخصيات الدينية والسياسية الشيعية إلى أوروبا. (غيتي)

لا يُمكن عزل الحضور الشيعي في أوروبا عن حضور الإسلام في القارة العجوز، وهي قصة بدأت بالطبع مع فتح الأندلس وتوالت فصولها في عهد الإمبراطورية العثمانية. وقد دخلت علاقة أوروبا مع الإسلام في مرحلة ثانية إبان عهد

الاستعمار، حين كانت في حاجة إلى يد عاملة تلبي نداء إعادة الإعمار بسبب الحروب المتعاقبة. ومن ثمَّ وصلت أفواج من المهاجرين إلى الأراضي الأوروبية، وبدا أن هناك اختلافات إثنية وثقافية واجتماعية ظاهرة في صفوف المسلمين القادمين إليها.

مع بداية السبعينيات، صار الاختلاف مذهبيا أيضا، مع بدء حضور معتنقي المذهب الجعفري الاثنا عشري بين الأوروبيين على قلة عددهم، وقد تقوّى الوجود الشيعي في القارة العجوز بسبب هجرات الطلبة إليها من أماكن مختلفة، مثل العراق وإيران، وكذلك أوغندا التي توجد بها طائفة الخوجة الشيعية وبعض دول جنوب آسيا. وزادت نسبة النزوح الشيعي نحو أوروبا بسبب أحداث أخرى، منها الثورة الإيرانية عام 1979، ثم حرب العراق عام 2003، وأخيرا وليس آخرا ظهور تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا بعد عام 2014.

كان الوضع غير المستقر للشيعة في عدد من البلدان العربية مثل العراق وبعض دول الخليج عاملا ساهم في انتقال عدد مُعتبر من الشخصيات الدينية والسياسية الشيعية إلى أوروبا، حيث أسسوا مكاتب ومراكز عملت على إنشاء بنية تحتية للنشاط الشيعي تستجيب للاختلافات اللغوية والدينية والسياسية للمسلمين في أوروبا. وبداية من التسعينيات اختار بعض الشخصيات الدينية الشيعية المهمة العاصمة البريطانية لندن معقلا للتشيُّع في القارة، فظهر عدد من المراكز الدينية والبحثية والتدريسية التي أشرفت عليها مرجعيات شيعية كبرى، مثل «أبو القاسم الخوئي» و«علي خامنئي»، المرشد الحالي للثورة الإسلامية الإيرانية.

حافظت الجاليات الشيعية في أوروبا على تنظيم صفوفها، رغم التحولات والتحديات الكبيرة لإثبات نفسها بوصفها أقلية وسط أقلية أكبر، وجماعة على علاقة وطيدة بمجتمعاتها الأصلية، ولذا غدت العواصم الأوروبية نقاط استقرار وتنظيم للشبكات الشيعية المتداخلة. وعلى سبيل المثال، فإن حزب «الدعوة»

المعارض لحُكم صدام حسين، الذي أصبح إحدى أهم القوى السياسية في العراق بعد الاجتياح الأميركي، وصار الحزب المهيمن على الحكومة العراقية بداية من 2005 بقيادة رئيس الوزراء العراقي السابق «نوري المالكي»، قد اتخذ من بريطانيا معقلا للاستقرار ومعارضة نظام البعث من خارج البلاد، حتى سقوط الأخير.

إذا أردنا أن نسوق نموذجا على الوجود الشيعي في أوروبا، فلن نجد أفضل من بلجيكا. وللإسلام قصة طويلة في بلجيكا، فهو وإن حضر بسبب الهجرة في المقام الأول على غرار بقية البلدان الأوروبية، فإنه انتشر سريعا بسبب تحوُّل عدد من البلجيكيين إلى الدين الإسلامي. ويُقَّدر عدد المسلمين هناك من 600 ألف إلى 800 ألف شخص، وفي بروكسل، العاصمة البلجيكية التي تُعَدُّ رمزا لتوحيد أوروبا، تُشكِّل الجالية الإسلامية نحو 25% من سكان المدينة.

ويختلف تعامل الدولة البلجيكية مع الإسلام عن طريقة تعامل دول أوروبية أخرى، فقد شاركت المملكة منذ البداية في تنظيم وهيكلة الديانة الثانية في البلاد، وجاء تأكيد هذا التوجه رسميا عبر قانون عام 1971 الذي كفل للمسلمين الكثير من حقوقهم، بدءا من تمتع الجالية الإسلامية بالحرية في تفسير تعاليمها الدينية، وحتى تقنين الاستفادة من الدعم المادي الذي تتلقاه الهيئات الإسلامية من الدولة. ولم يكن هذا الدعم الرسمي بدون مقابل طبعا، حيث وفَّر للدولة مساحة للتدخل والتحرك في الهيئات الإسلامية.

تسبَّبت هذه السياسة البلجيكية المنفتحة تجاه المنظمات الإسلامية في اشتعال المنافسة بين عدد من الهيئات الإسلامية الطامعة في حيازة مكانة مميزة عند الحكومة، مع الاستفادة من الموارد المادية التي تضعها الدولة تحت تصرُّف العاملين رسميا في تلك المؤسسات. وقد تلقَّت بعض المنظمات الإسلامية مساعدات من دول أخرى بطريقة قانونية، كما هو حال عدد من الهيئات السُّنية التي دعمتها المملكة العربية السعودية عن طريق المركز الإسلامي الثقافي البلجيكي، الذي تأسس عام 1970 وأُغلِق عام 2019 ضمن حملة شنَّتها السلطات للتضييق

على المؤسسات ذات التوجه «السلفي». وبجانب التيارات السلفية، حضرت تيارات أخرى في المشهد الديني البلجيكي، مثل جماعة الدولة والتبليغ، وجماعة الإخوان المسلمين، والمنظمات الدينية التركية، وكذلك الجهات الشيعية وبعضها كان مدعوما من إيران، التي سعت هي الأخرى لإيجاد موطئ قدم لها في هذا التنافس المحموم.

تتركز الجالية الشيعية البلجيكية بالعاصمة بروكسل وضواحيها، حيث أظهر الشيعة قدرة ملحوظة على الاندماج في المجتمع الذي يعيشون فيه على جميع الأصعدة، بداية من الجانب الاجتماعي وصولا إلى الجوانب المهنية. وصاحب هذا الاندماج الشيعي عمل قاعدي على مستوى الدعوة الدينية للمذهب الجعفري من أجل نشر التشيُّع وسط الجالية الإسلامية، التي تتمذهب غالبيتها العظمى بالمذهب السُّني، بالإضافة إلى نشر المذهب الشيعي والدين الإسلامي معا في صفوف غير المسلمين. وقد عملت الهيئات والجمعيات الشيعية في بلجيكا على نشر أهم أفكار مذهبها في الفضاء الافتراضي والواقع الاجتماعي على السواء. ورغم حساسية الأمر بسبب الغالبية السُّنية في صفوف الجالية الإسلامية، فإن تلك الجالية تمكَّنت من إنشاء جمعيات ومدارس وطَّنت بها نفسها وسط بروكسل والمدن الأخرى.

ولا يمكن نسيان عامل الانتشار الأهم، وهو المساجد، حيث يعود حضور المساجد الشيعية إلى بداية التسعينيات، حين تأسس مسجد «الإمام الرضا» بمدينة «أندرلخت» بواسطة رجل الدين الإيراني «جمال الدين الطباطبائي»، وأضحى المسجد بعد تأسيسه القبلة الأبرز للشيعة، ولعب المسجد بجانب الجمعية الإسلامية التابعة له دور الممثل الأهم للوجود الشيعي في بلجيكا. وقد ضمَّت مدينة أندرلخت مسجدا آخر هو مسجد «الهادي» الذي تأسس هو الآخر من طرف «جمال الدين الطباطبائي»، علاوة على مسجد «الرحمن» الذي يصلي فيه الشيعة والسُّنة على حدٍّ سواء. ورغم كونهم أقلية داخل الجالية الإسلامية، فإن التمايز العِرقي عرف طريقه إلى صفوف الشيعة، فظهرت مساجد يرتادها

الشيعة العراقيون وأخرى للشيعة الأتراك وثالثة لشيعة باكستان.

تشيُّع عقدي وآخر سياسي

«بعد إسلامي التقيت بأحد الإخوة الذي ساعدني ونصحني بمواصلة البحث، وحينها عثرت على كتاب يتحدث عن الثورة الإيرانية، وقال كاتبه إنه يجب فهم الإسلام والتشيُّع ومعرفة آل البيت من أجل فهم هذه الثورة، وحينها تعرَّفت على علي عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام».

لا يمكننا الحديث عن الوجود الشيعي في مكان ما خارج المعاقل المعروفة للمسلمين الشيعة في العالم الإسلامي -مثل أوروبا- دون الحديث عن «نشر التشيُّع» الذي يُعَدُّ أحد الأسس الراسخة للتدين الشيعي. وقد أصبحت جهود «نشر التشيُّع» ظاهرة مهمة تسبَّبت في الكثير من المشكلات بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الدولة الشيعية الأولى في العالم، وبين عدد من الدول العربية والغربية التي تخشى على نفسها من بذور «الفتن الطائفية» وتداعياتها.

تسرب التشيُّع في بلجيكا وسط الجاليات السُّنية وفي الأوساط الكاثوليكية أيضا، وتقدَّم المغاربة قائمة الجنسيات التي اعتنقت المذهب الشيعي، إذ تشير إحصائيات إلى أن عدد الشيعة المغاربة وصل إلى 10 آلاف شخص. ويرى الباحثون من متتبعي عملية تشيُّع المغاربة وجنسيات عربية أخرى في بلجيكا هذا التوجه تتمة لمحاولة القوى الشيعية بزعامة إيران الوصول إلى منطقة شمال أفريقيا، فيما يعتبر آخرون أن هذا التحول يأتي في إطار بحث عدد من السُّنة عن هوية دينية جديدة تستجيب لتطلعاتهم غير التقليدية.

من جهة أخرى، لا يمكن قراءة هذه الموجات من التشيُّع دون العودة إلى أحد أهم الأحداث السياسية الشيعية في التاريخ المعاصر، وهي الثورة الإيرانية، إذ ساهمت الثورة في تعريف الناس بالأفكار الشيعية عن قُرب، وقدَّمت للعالم أجمع شخصية كاريزمية تمتلك تأثيرا لا يستهان به وهو «آية الله الخميني»، المرشد العام للثورة وقائدها الأهم. وقد ظهر أثر الثورة الإيرانية سريعا على الحضور

الشيعي في شتى بقاع العالم، ففي الثمانينيات، أظهر الشباب المسلم في عدد من الأقطار اهتماما أكبر بالمذهب الشيعي الذي طرح أسئلة كانت حتى وقت قريب قليلا ما تُطرح في صفوف التيارات السُّنية التقليدية، وهي أسئلة تطرَّقت لمفاهيم مثل العدالة الاجتماعية والمساواة ولكن بنكهة إسلامية.

الثورة الإيرانية

قدَّمت الثورة الإيرانية للعالم شخصية تمتلك تأثيرا لا يستهان به وهو «آية الله الخميني»، المرشد العام للثورة وقائدها الأهم. (مواقع التواصل)

ظهرت في هذه الفترة النواة الأولى للتشيُّع في بلجيكا عن طريق مواطنين من أصول مغربية تواصلوا مع بعض الأئمة الإيرانيين الذين أرسلتهم طهران لمتابعة الوضع الديني والسياسي للجالية الإيرانية في أوروبا. ووصل عمق التواصل بين هؤلاء المُتشيِّعين الجُدد وإيران حَّد ذهابهم إلى مدينة «قُم» لطلب العلم والعودة إلى بلجيكا للدعوة. وقد تعزَّز في التسعينيات الحضور الشيعي في إيران بمكوِّن مهم وأساسي هو شيعة العراق الذين تركوا البلاد فرارا من نظام صدام حسين، إذ قدمت الجالية العراقية إلى أوروبا ومعها سلاحان مهمان: أولهما تاريخها في معارضة نظام البعث العلماني، وثانيهما تمكُّنها من اللغة العربية، ما جعل مهمة التواصل مع عرب بلجيكا أقل صعوبة.

مع حلول الألفية الجديدة، وتألق نجم «حسن نصر الله»، الأمين العام لحزب الله اللبناني، زادت قوة التأثير الشيعي في صفوف الجالية السُّنية الأوروبية، خصوصا مع اتخاذ الحزب مواقف واضحة للدفاع عن القضية الفلسطينية وظهوره بمظهر القوة القادرة على مجابهة إسرائيل كما أثبت ذلك في حرب لبنان عام 2006. ورغم هذا التأثير المهم للجانب السياسي في مسألة إعجاب بعض السُّنة في أوروبا بالمذهب الشيعي واعتناقه، فإن السياسة لم تكن السبب الوحيد، إذ وجد بعض أبناء الجاليات المسلمة في المذهب الشيعي قدرة أكبر على تحدي نمط الحياة الغربي الذي رأت أنه ينتزع السمات الثقافية للمسلمين في أوروبا.

في الإطار نفسه، ولكن في رقعة جغرافية مختلفة هي إيطاليا هذه المرة، تمكَّن التشيُّع من إيجاد مكان له في عدد من المدن، منها «روما» و«ميلانو» و«بريشيا» و«نوفارا» و«كومو». وتحتضن كومو مقر جمعية المحامين اللبنانية التي كانت تنشر في صفحتها على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك مقاطع لرجال دين شيعة مثل «عبد العزيز حمزة» و«بسال قاروط» إضافة إلى رجل الدين الإيطالي المعتنق للمذهب الشيعي «عباس دي بالما»، الذي درس التشيُّع في دمشق السورية وقُم الإيرانية. ورغم أن المقاطع التي تنشرها الصفحة مجردة من أي حمولة سياسية، تماما كما هو حال أنشطة الجاليات الشيعية بمدن مثل «نافورا» و«بالِرمو» و«كابري»، التي تكتفي بالاحتفال بالمناسبات المهمة مثل عاشوراء، فإن تحركات أخرى موازية تجري بنكهة سياسية بين صفوف الجالية الشيعية بإيطاليا.

على سبيل المثال، ينشط في مركز «الإمام المهدي» بروما إيرانيون وأفغان وباكستانيون في المقام الأول، مع حضور قليل للجالية العربية، ويُديره رجل الدين الشيعي الإيطالي «عباس دي بالما»، وهو المركز الأكثر حضورا في المجال السياسي عبر تنظيم فعاليات من قبيل «الاحتفال بتحرير لبنان من الاحتلال الإسرائيلي». كما سبق أن استقبل المركز «نوَّار الساحلي»، السياسي اللبناني وعضو حزب الله، علاوة على إشادة «دي بالما» أكثر من مرة بحسن نصر الله وموقفه الداعم لنظام الأسد في سوريا وتنظيم «زينبيون» الذي كان يقاتل بجانب النظام السوري في الحرب السورية.

التشيع البريطاني

في يوم 12 مارس/آذار 2012، توجه «رشيد البخاري»، مهاجر مغربي مقيم بالديار البلجيكية، إلى مسجد «الإمام الرضا» الشيعي بمدينة أندرلخت، وأضرم النار فيه مُتسبِّبا في مقتل إمام المسجد «عبد الله دحدوح»، المغربي الأصل، وهو أحد أبرز الدعاة الشيعة في البلاد. وقد نفى المتهم الذي حُكِم عليه بالسجن 27 سنة أيَّ رغبة في قتل الإمام الشيعي أو إصابة الشخصين الآخرين اللذين كانا في

المسجد حينها، بل اعترف أمام المحكمة بأنه رغب في حرق المسجد فقط لتنبيه الشيعة في بلجيكا على خطورة دعمهم لنظام الأسد والميليشيات التي تقتل أهل السُّنة في سوريا.

سلّطت هذه الحادثة الضوء على بوادر التراشق المذهبي في أوروبا، الذي انتقل من البلدان المشرقية إلى المغرب البعيد. وفي السياق ذاته، وبسبب الصراع في سوريا وما اتَّسَم به من مواجهات مذهبية بجانب تلك السياسية والأيديولوجية، ظهرت مشاحنات في دول أخرى داخل صفوف الأقلية المسلمة بين الشيعة والسُّنة. ففي بريطانيا، التي شهدت مظاهرات ومواجهات مع بداية الأزمة السورية، تحوَّل انتباه المجتمع المسلم من مجابهة الإسلاموفوبيا إلى الدخول في مواجهات داخلية فرضتها القضايا الطائفية المشتعلة، بحسب مراقبي الشأن الإسلامي في البلاد.

ورغم أن التشيُّع غالبا ما رُبِط بإيران في بريطانيا، فإن هناك نوعا من التشيُّع تقول طهران إنها تعاديه بقوة، ويطلق عليه «التشيُّع البريطاني»، الذي يُعَدُّ رجل الدين الشيعي الشهير «ياسر الحبيب» أحد أبرز دعاته. ويتميز هذا النمط الديني الشيعي بالتركيز على رسائل الكراهية الموجَّهة إلى السُّنة، وهو ما جعل حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله اللبناني المعروف بقُربه من إيران، يهاجم في تصريح له هذا النوع من التشيُّع الذي «يهدف إلى خلق الحروب الطائفية»، فقد اتهم نصر الله رجال الدين الشيعة ممن يتبنون هذا المنهج بأنهم عملاء يخدمون المخابرات البريطانية، وتكرَّر الكلام نفسه على لسان المرشد الإيراني علي خامنئي، الذي أضاف «صادق الحسيني الشيرازي» إلى «قائمة العملاء» في نظره، وهو رجل دين شيعي عراقي معروف بتأثيره في الشيعة البريطانيين.

وبجانب الخلاف السُّني-الشيعي والشيعي-الشيعي، يواجه الحضور الشيعي مشكلات تظهر بين الفينة والأخرى، كما حدث في فرنسا، حين قررت السلطات الفرنسية إغلاق مركز الزهراء الشيعي، الذي تشيَّعت فيه «مايا» في يوم من الأيام كما ذكرنا سابقا، وذلك بسبب عثور الشرطة الفرنسية على بندقيتين من عيار 12 و16 ملم مع 200 خرطوشة. وقد قال المتهمون إنها كانت مجرد

أداة لحمايتهم من أي هجوم قد يتعرَّض له المركز الشيعي من طرف أعضاء القاعدة أو أعضاء تنظيم الدولة الإسلامية. (18)

لا يبدو إذن أن الإسلاموفوبيا هي آخر هموم الجالية الإسلامية في أوروبا، بل تتزايد التعقيدات السياسية لحضورها ولأنشطتها الدينية بسبب الخلافات المذهبية بين السُّنة والشيعة، والخلافات بين شتى مدارس الإسلام السُّني، وكذلك الخلافات المماثلة بين الاتجاهات الشيعية المختلفة، والتبعات المُعقَّدة لخشية هذا الفريق أو ذاك، ليس من قبضة الدولة المُتشكِّكة فيه فحسب، بل وكذلك من «إخوانه» في الدين ممن لا يشاركونه مذهبه نفسه. وفي حالة المذهب الشيعي أكثر من غيره، تلعب السياسة بطبيعة الحال دورا كبيرا في علاقات الجالية الشيعية ببقية المسلمين وبالمجتمع الأوروبي الأوسع.

الشرق الأوسط

هل مؤسسة الأسرة في حالة تهديد؟

2022/12/23

د. آمال موسى

ملخّص:

هيمن الاهتمامُ بالفرد، وأهملنا في مقابل ذلك، ما عرفته وتعرفه الأسرة كمؤسسة بالمعنى الاجتماعي والرمزي للكلمة والمفهوم، من تراجع في المكانة والأدوار وفي الخصائص.

من المهم التذكير بأنَّ الأسرة هي الوحدة الرئيسية في البناء الاجتماعي العام، وأنَّها الخلية الأولى للجسد الاجتماعي. ومن المهم أيضاً التذكير بأنَّ ما يسمى وظيفة التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد ومن خلالها تنقل له الرموز والثقافة وطريقة العيش ونماذج التصنيف والقيم... إلى الفرد. وبالحديث عن وظيفة التنشئة الاجتماعية اللازمة كي ينتقل الفرد الإنسان من طور الطبيعة إلى طور الثقافة، فإننا نقر ضمنياً وبصريح العبارة بأن الأسرة هي مؤسسة لا غنى للإنسان عنها بالمعنى الوظيفي المحض.

طبعاً لا شك أن فلسفة الحداثة ذاتها، القائمة على إعلاء شأن الفرد والدفاع عنه ضد حتمية المؤسسات الاجتماعية وهيمنتها، قد مثلت أول ضربة تاريخية في مكانة الأسرة. كما أن هذه الضربة كانت على مراحل ولا تزال تعتمد نفس التقنية؛ أي المرحلية. وهذه مسألة مفهومة جداً لأنَّ التغيير الثقافي بشكل خاص يحتاج إلى زمن. ويمكن الاستنتاج أنَّ تراجع الأسرة والتحولات التي عرفتها شكلاً ووظائف ومكانة، إنما هي نجد صداها ومظاهرها في عملية الانتقال من المجتمع التقليدي ذي الهياكل التقليدية إلى مجتمع حداثي. بمعنى آخر، فإنَّ الأسرة ارتبطت بالبناء التقليدي التاريخي للمجتمع واستمرار مؤسسة الأسرة كان مرفوقاً بتحولات شتى عرفتها الأسرة، حيث إن ما عرفه الفرد من تنامٍ لدوره

ومكانته واستقلاليته ولعلاقته بالمؤسسات وموقعه في الفعل الاجتماعي... كل هذا أدَّى آلياً إلى تراجع متعدد الأبعاد في مؤسسة الأسرة، وذلك من منطلق أن ما تحصّل عليه الفرد هو في جزء وافر منه كان من رصيد الأسرة. وهنا يمكن أن نقيس ما شاب الاجتماعي من تغييرات بتنامي ظاهرة الفردانية التي أثرت على العملية الاجتماعية ككل، وكان أول من بدأ يفكر في هذا الانقلاب الاجتماعي هو عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر، من خلال نظرية الفعل الاجتماعي وتناول مفهوم الفاعل الاجتماعي، بعد أن كانت الأدبيات السوسيولوجية تستعمل مفهوم العون الاجتماعي. فالانتقال من زمنية العون الاجتماعي إلى زمنية الفاعل الاجتماعي حتَّم تغيراً في المواقع والمراتب والصراع على الهيمنة.

إذن الحداثة كمنظمة قيم تنتصر للفرد واستقلاليته عن الأطر الاجتماعية وحريته، إضافة إلى أن عملية الكسر المتراكم للعلاقات العمودية النسق والقيم والعلاقات مثلت في الحقيقة عامل إرباك نتج عنه مخاض طويل بطيء تختلف شدته من مجتمع إلى آخر ومن فضاء ثقافي اجتماعي إلى آخر. وفي هذا السياق، من المهم التمييز بين واقع الأسرة في الفضاء الأوروبي والغربي عموماً، وفي الفضاء العربي والإسلامي باعتبار أنَّ الأسرة في الفضاء العربي والإسلامي لا تزال تحظى بمخيال إيجابي، وتمثل مصدراً وجدانياً واجتماعياً رغم كل التغييرات الحاصلة التي تجعلها رغم أهميتها تعرف هزات وصدمات. أما في الفضاء الأوروبي فإنَّ حالة التّهرم السكاني ذاتها تعني من بين ما تعنيه تراجع نسب الإنجاب وتكوين الأسر.

طبعاً المجتمعات العربية في غالبيتها ما زالت مشدودة إلى مؤسسة الأسرة، ولكن من الخطأ أن نتصور أنّها صامدة بشكل كامل، بل إنّه إلى جانب ما طرأ على مجتمعاتنا من تغييرات هي نتاج خطوات التحديث، فإنَّ الارتباكات الاقتصادية العالمية وفي المنطقة العربية وتوالي الأحداث، بدءاً بحرب الخليج، ثم ما سمي الربيع العربي، وصولاً إلى جائحة الـ«كوفيد- 19» قد ألقت بظلالها على واقع الأسرة وراكمت أمامها الصعوبات. بمعنى آخر، فإن التداعيات الاقتصاديّة للأحداث قد أنتجت مجموعة من التوترات متعددة الأبعاد داخل الأسرة،

ويتمظهر ذلك في ارتفاع حالات الطلاق وتزايد ظواهر العنف داخل الفضاء الأسريّ وتدهور القدرة الشرائيّة.

إنّ مؤسسة الأسرة تعرف في الوقت الرّاهن تهديدات ثقافيّة وماديّة اقتصاديّة متشابكة تُؤثر سلباً على وظيفتها التّاريخيّة وتنتج ظواهر تهدد استقرار المجتمع ومستقبله، خصوصاً فيما يتعلق بالعزوف عن الزواج أو إهمال الأبناء، وما يمثله الطلاق ذاته من حالة تهديد للطفل، وشعور بالفشل لدى الزوجين ومن تفكك أسري ومجتمعي.

المؤكد أنَّ الأسرة كأهم مؤسسة اجتماعية والأقدم تاريخياً، في حالة تأزم قد تختلف وتيرته من مجتمع إلى آخر، وقد يختلف شكله من فضاء ثقافي إلى آخر، ولكن في نفس الوقت الحقيقة التاريخية تقول إنَّ المجتمع لا يستغني عن الأسرة كنواة أولى، وأنَّ التعامل السلبي مع العواصف التي تمس وجودها، إنما يؤسس لخراب اجتماعي لا قدرة للإنسان ولا للإنسانية عليه. فالحل هو معالجة تهديدات الأسرة؛ لأنَّه لا غنى عنها، حتى ولو بلغت الفردانية أوجَها.

يفيد

دراسة: بناء الوعي لدى بيئة المقاومة وتحويل التهديدات الى فرصة

2023/3/21

المقدّمة:

كانت خسارة فلسطين امتدادا للخسارة التي لحقت بشعوب الامة العربية والإسلامية، والتي شّكلت عاملا جديدا من عوامل البحث عن إمكانية استعادة الذات، فاندلعت الثورات، وظهرت حركات تحرر، لكنها للأسف لم تفلح في الوصول الى أهدافها، وبقيت قاصرة عن تحقيق الطموحات الجماهرية، لأسباب عدة وجوهرية لعل منها غياب الاستراتيجية، او عدم وضوحها، وبذلك وقعت فريسة في ايدي المخططين الكبار، وكان لبنان ولا يزال من ابرز البلدان التي تمثل جزءا من المشروع الصهيوني للوصول الى مياه نهر الليطاني لريّ الجليل الأعلى والحصول على الطاقة الكهرومائية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، كان مخططا ان يكون لبنان ضمن الدولة الصهيونية المزمع انشاؤها من النيل الى الفرات.

أنتج الاجتياح الإسرائيلي للبنان مناخا متقلبا خلط الوقائع والاحداث اللبنانية ودفع الى حالة من حالات الانقسام المناطقي والطائفي. هذه الحالة دفعت بالكيان الصهيوني لتوسيع نفوذه في لبنان من خلال الهجمات على القرى والبلدات مما زاد من معاناة السكان، تبعها الهجوم الجوي الإسرائيلي على لبنان في تموز 1981، وأعقبه زيادة تدخل في الأوضاع اللبنانية عن طريق التحالف العسكري الذي أنشأه الكيان مع الميليشيات المسيطرة على الشطر الشرقي للعاصمة، وفي الوقت الذي بلغ فيه القتال المحلي مبلغا أنهك العاصمة بيروت والمناطق الجنوبية.

على الجانب الاخر كان المشهد الاقليمي فوق بركان مشتعل حيث الحرب

المفروضة على إيران اشتعلت، وفي هذه الاثناء، بدأ الكيان الصهيوني اجتياحه للأراضي اللبنانية في حزيران 1982، ووصل الجيش الإسرائيلي بيروت في اليوم الثالث لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ لبنان، والتي كتبت بحروف من دم ونار في الجنوب، خاصة منطقة جبل عامل صاحبة التاريخ الهام في بناء لبنان الحديث والمنطقة، فكرا وسياسة.

أخرج الاجتياح الإسرائيلي المقاومة الفلسطينية، كما اخرج القوات السورية الا من بعض المناطق المحاذية لحدودها في البقاع والشمال وبعض الجبل. ثم لم يجد من يحاسبه على كل ما ارتكبه من مجازر بحق الشعبين اللبناني والفلسطيني، وخاصة المجازر التي شكّلت رافدا للولادة الفعلية لما أصبح يعرف بعد ذلك بالمقاومة الإسلامية في حزب الله، التي ظهرت في ظروف كان الشعور بالقهر لدى المسلمين، بل لدى الوطنيين عموما في لبنان والمنطقة، قد بلغ ذروته. فقد هزمت المقاومة الفلسطينية واخرجت بالقوة من لبنان، وأخرجت سورية مثخنة بالجراح من معظم لبنان، ووسط صدام سياسي عنيف بينها وبين المقاومة الفلسطينية، انعكس بحدة على اللبنانيين فمزّقهم عاطفيا وفكريا وسياسيا، والحق اشد الأذى بتوجهاتهم القومية. ثم نصب الكيان الصهيوني دباباته، وعمل بوسائل التهديد والاغراء على إيصال حليفه اللبناني (قائد ميليشيا القوات اللبنانية حينها بشير الجميل) الى رئاسة الجمهورية. بالمقابل، كانت حرب صدام حسين على الجمهورية الإسلامية قد بدأت في استهلاك معظم طاقة الأمّة، ومعظم مواردها الاقتصادية والسياسية، لا سيما في الخليج الفارسي، محدثة شرخا كبيرا في المؤسسات التي يفترض أن تجسد تضامنها ووحدة موقفها، وأولها الجامعة العربية. قطع حزب الله درب الهزيمة وبدا مشواره في المواجهة المسلحة لكل مشاريع الارتهان للمحتل الإسرائيلي. ومنذ تلك اللحظة بدا مشوار التعبئة الشعبية-على الرغم من كل التعقيدات- يتبلور باصطفاف شعب ينشد الحرية لأراضيه ومناطقه، ويؤمن بأنّ المواجهة تتطلب الصبر والعمل بدأب ولم تتوقف حركته يوما. كانت انطلاقة الحزب أولا باعتباره «حزب المستضعفين» وكان المنتمون الأوائل الى صفوفه هم المعدمين، أبناء البؤس والشقاء الذين لم يتبقّ

لهم الا الله، فجاء يأخذهم اليه. وها هو اليوم، الحزب الأعظم شعبية، والأفضل تنظيما، والأصلب موقفا، ويكاد يكون الارفع في وعيه السياسي وقراءته لخريطة التحولات، والمبادرة الى التعديل بما يراعي المزاج العام من دون التخلي عن ثوابته الايمانية وشعاره الجهادي الابعد مدى: فلسطين.

بعد أن مرت سنوات على اكتمال الانتصار اللبناني على العدو الصهيوني في أيار 2000، وبعد أن لقّن حزب الله، هذا العدو ومن صار في ركبه من حكام ومثقفين ودول، دروسا في جدوى الصمود، والإصرار على المقاومة للوصول الى هدف التحرير، واخفاق ما دون ذلك من أساليب المهزومين التي يطلقون عليها زيفا اسم المفاوضات ومبادرات التسوية والتطبيع. الان وبعد أن مر على اكتمال الانتصار سنوات يعود السؤال مجددا: لماذا انتصر حزب الله في حين هزم الاخرون؟ انه السؤال الذي فجر عشرات من الأسئلة التي وجبت الإجابة عليها ونحن نعيش أجواء اشتداد المؤامرات الإقليمية والدولية على مقاومة الشعب الفلسطيني واللبناني، ومحاولة وأدها، من خلال استهداف رموزها الكبيرة تارة او من خلال تنفيذ المؤامرات الامريكية، والإسرائيلية باسم الإصلاحات الديمقراطية تارة أخرى.

كي لا نغوص بعيداً في تاريخ الصراع على المنطقة والسيطرة على مقدراتها، عبر مشاريع عدة، فإن فشل تطبيق الطبعة الأخيرة من هذه المشاريع، أي "مشروع الشرق الأوسط الجديد"، بالقوة الصلبة في حرب تموز 2006، دفع الرعاة لمحاولة تطبيقه بالقوة الناعمة، وهي قوة تتبع، من جملة ما تتبع، أسلوب "الهندسة الاجتماعية" لإعادة صياغة الوعي الجمعي للمجتمعات المستهدفة بالكامل. فالمسألة لم تعد محاولة خلق أنظمة سياسية عميلة عبر عمل عسكري مباشر أو غير مباشر، بل خلق مجتمعات "عميلة" عبر تدخل ثقافي ناعم، بالمعنى الشامل لكلمة ثقافة، وإذا كان ذلك صعباً لاستحالته المنطقية، فالأفضل، وهو ما حدث، خلق مجتمعات جاهلة تقتتل فيما بينها، ومع الآخرين، على قضايا زائفة، وتستعيد صراعات تاريخية سابقة تمنحها

أولوية مطلقة على المشاكل والقضايا الراهنة.

إنّ الكلمة المفتاح في الصراع مع العدو اليوم، هي معركة الوعي لأنّها تلعب دورا حاسمً في مصير الأمة، بحسب قول سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله في خطاب خلال مؤتمر لدعم المقاومة تحت عنوان: المقاومة في معركة الوعي والذاكرة: «إنّ الوعي إنّما هو شرط أساسي لوجود المقاومة والثورة والنهضة. إنّنا نخوض معركة الوعي في أمتنا وعن عدونا والذاكرة جزء من هذه المعركة التي نخوضها جميعًا».

أهمية طرح هذا الموضوع تأتي من النقاط التي بدأت تظهر معالمها بشكل بطيء، لكنها ذات مؤشرات خطيرة وهي:

- الحرب الناعمة التي يقودها العدو لضرب بيئة المقاومة ومقوماتها.
- ما يحصل على الساحة العربية والإسلامية من تطبيع وتنازل وتامر مع العدو على المقاومة في فلسطين ولبنان، وعلى حقوقها الشرعية في الأرض والثروات ومقومات القوة.
- الحصار الشامل الذي تتعرض له المقاومة وبيئتها في لبنان وفلسطين لا سيما داخليا وخارجيا.
- المؤامرة الكبرى بقيادة الولايات المتحدة الامريكية الهادفة الى انهاء حالة المقاومة في لبنان وفلسطين بكل الوسائل لمصلحة العدو المحتل.
- تشويه وتغيير الوعي والمفاهيم والثوابت التي بني على أساسها الصراع مع المحتل الصهيوني. والهجمة الممنهجة والمدروسة بعناية فائقة وعلى كل المستويات سياسية كانت او اقتصادية او ثقافية.

من هذا المنطلق، على البيئة الحاضنة للمقاومة ان تعي بخطورة وحقيقة وفهم

ما يخطط لها، ثم إعادة تثبيت وتوحيد المفاهيم والثوابت، وبعد ذلك، التوافق على الاليات والوسائل الممكنة والمطلوبة لمواجهة هذه الازمة، وانتزاع الحقوق وتقرير المصير.

تبدو مسألة بناء الوعي، مسالة مهمة ودقيقة تتطلب متابعة لأليات صناعته بشكل دقيق وخلق أدوات لمواجهة كل محاولات الاختراق لهذا الوعي. تحتاج هذه العملية لقراءة الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لبيئة المقاومة. ومن هنا، يطرح السؤال، كيف نعيد بناء العقل المقاوم؟ كيف نحمي هذا الوعي الجمعي ونصنع منه أدوات مواجهة حقيقية لكل سياسات الاستهداف المختلفة من قبل العدو؟

بناء الوعي الجمعي: التشكّل وإدارة المواجهة

موضوع الوعي يدور حوله نقاشات واسعة جدًّا، في العقود السابقة كانت السياسة تجري صناعتها داخل مؤسسات مغلقة، ولم يكن يهم الأنظمة السياسية إلى حد بعيد ما هو رأي الجمهور والمواطنين. بينما في العقود الأخيرة يوجد رأي عام في الحضور السياسي وله قدرته على إحداث التغيير السياسي ومحاسبة من هم موجودين، وصار هدف صنّاع القرار أن يكون الجمهور راضيًا ومقتنعًا وموافقًا، بمعنى هناك مشروعية سياسية لخياراته. وإذا تمكن العدو من التلاعب بالجمهور سيصبح القادر بشكل غير مباشر على التأثير على صانع القرار في الدولة أو المنظمة العدوة. من هنا أهمية دور الناس في سياسات الحروب ونتائجها وخيارات صنّاع القرار وهو جعل الأهمية بالتلاعب بوعيهم. ليس شرطًا أن يكون هذا الامر صحيحًا، فهذا هو الفرق بينه وبين البصيرة التي تفترض أنّ النتيجة التي نصلها هي مطابقة للواقع، بينما الوعي في مكان ما هو زائف ويتعلق بالتصورات أكثر. ومن العوامل أيضًا، سهولة التأثير بالوعي لوجود وسائل التواصل، وإيصال الرسائل بكلفة قليلة ووقت سريع جدًا.

إضافة الى ذلك يمكن القول انّ الانتصار في معركة الوعي على الخصم يساعد

إمّا في جعل الحرب غير ضرورية أو يجعل الفرص بالانتصار في الحرب أعلى . اما فيما يتعلق بأهمية اللغة في معركة الوعي فيمكن ان ترتبط بوعي الذات كأفراد ومجتمعات، وإنّ أعلى مستويات الهيمنة عندما يستطيع طرفًا ما أن يجعل المهيمن عليه ينظر لنفسه وفق تصورات المهيمن. بالتالي علينا أن نفهم عوامل القوة لدينا. إضافة الى الوعي بالآخر، العدو أو الخصم، ما هي تركيبته وكيف يعمل وما هي وسائله وأدواته؟ وهذا أمر مهم لكي نتمكن من تطوير استراتيجية الصراع معه. كذلك أن يتشكّل الوعي التاريخي للمجتمعات والعالم، والوعي بالمستقبل والقوى المحركة له اليوم. وأن يكون هناك وعي بهذا الصراع، ما هي طبيعته ومن هم الذين ينخرطون فيه؟ وكيف يتحرك ومن هم عناصره، وكيف يمكن أن نتقدم فيه؟ وما هي أبعاده الثقافية والعسكرية والتربوية؟

إنّ عملية صناعة الوعي والتلاعب به ليست فقط عملية ذهنية وفكرية، بل هي عملية تفاعلية مع الواقع. وهي تقوم على التلاعب والتضليل، ولها تقنياتها الكثيرة جدًّا، ومن أشهرها حاليًّا التضليل المعلوماتي، والإقناع الذي يقوم على المجادلات المنطقية والعقلانية لمحاولة صناعة الوعي، والتشتيت عن القضايا الأساسية إلى قضايا فرعية بأشكال مختلفة مثل ضخ محتوى ترفيهي كبير بوسائل الإعلام العربية، لتشتيت جمهور الشباب العربي عن قضاياهم العربية والسياسية والاجتماعية. ومنها أيضًا فرض الوقائع على الآخرين، فإنّ تأسيس الوقائع المادية يجعل الفكرة أكثر إقناعًا لأنّها جسّدت الواقع. والصراع هو الصراع على النموذج، فمن يستطيع أن يقنع الناس بنجاح نموذجه في الواقع يكون قادرًا على النجاح أكثر في معركة الوعي.

ما تحاول قوى الهيمنة العالمية القيام به في معركة الوعي هو: محاولة إقناع شعوب المنطقة أنّ ما يجري ليس صراع بين الحضارات بل هو صراع داخل الحضارة الإسلامية. وأنّ العرب والمسلمين هم في موقع دوني ضمن الحضارات العالمية وهم متخلفين، وبالتالي دينهم هو دين التخلف. وهذه الصفة لا يمكن

أن ينفكوا عنها إلا في حال التخلي عن دينهم الإسلامي والثقافات المحلية. وأنّ النهوض في العالم الإسلامي مرتبط بالتحديث بأن نتبنّى النماذج العربية الثقافية والاقتصادية وحينها فقط نستطيع النهوض. بالمقابل يعدّ الغرب مركز العالم، وأنّها حقيقة لا يمكن لأحد تجاوزها، مع أنّها عكس التاريخ تمامًا فلطالما كان الشرق هو مركز الحضارات البشرية وليس الغرب. أمّا التطبيع، فهو يعادل الرفاه والنهوض والعيش الكريم. وبالتالي التصويب على المقاومة واعتبارها مشروع غير مفيد، مع الاستفادة من الإحباط واليأس الموجود عند الناس نتيجة الأزمات للقول عليكم التفكير بخيارات أخرى. هذه العناوين هي أهم ما يتم العمل عليه داخل المنطقة. إنّ الوعي باختصار هو حقيقة معرفة الواقع كما هو، وهو إدراكنا كيف يسير. وهنالك الكثير من المشاعر والعقائد والأيديولوجيات والأماني والأفكار المسبقة التي تجعل المرء قادرًا على رؤية الواقع بعكس ما هو، وعلى رؤية مصالحه بعكس ما هي، وتجعله قادرًا على التوجه حسب ما يريد عدوه له. إنّ الوعي الحقيقي هو وعي الواقع حقيقة كما هو بتجرد بدون أية التباسات ولا معايير ذاتية من مشاعر وأفكار. بمقابل ذلك تبحث الشعوب المستضعفة عن إمكانية أفضل للنهوض وتحقيق الاستقلال، وعن نجاعة لتحقيق الغلبة ضد قوى الاستعمار والهيمنة والتسلط والاحتلال. ولها مصلحة بمعزل عن كل الاعتبارات الدينية والفكرية والعقائدية في رؤية الواقع كما هو، وليس لها أي مصلحة في التضليل وفي إعطاء الواقع أشكالًا غير حقيقية. نشهد هذه الأيام حالة من التقلبات الدولية والإقليمية التي وضعتنا في صراع لفهم ما يدور حولنا، لكن النتيجة أننا وصلنا إلى حالة من الجهل في فهم الصراع، مع من، وكيف، ولماذا، مع أن حقيقة الأزمة اليوم قادتنا إلى أزمة مفاهيم ومبادئ وثوابت، وبالتالي عدم القدرة على تحديد أدوات المواجهة داخليا وخارجيا، وهذا بدوره دفعنا إلى أن نعيد تخطيط وترتيب وبناء عقولنا بمفاهيم وأفكار ومبادئ صحيحة، تتوافق مع المتميزات والمعطيات الجديدة، السلبية منها والإيجابية، التي تخص بيئة المقاومة.

تحتاج هذه الأزمة إلى حالة الوعي الحقيقي، وبناء المفاهيم، وتأكيد الثوابت

المتفق عليها بين أبناء هذه البيئة، والهدف هو تثبيتها بآليات محددة، وتفعيل كل إمكانات المقاومة في محيطها العربي والاسلامي، ومع أحرار العالم، في محاولة لصد الهجمة المسعورة التي تستهدف المقاومة وبيئتها من جذورها، وتعمل على إفراغها من كل حقوقها المادية والروحية والقانونية، والمآلات التي يخطط لها العدو الصهيوني، لإيصال أصحاب الحق الشرعيين لنهايتها المؤلمة. لقد ساهم قلب الحقائق، وتشويهها، في أن يصبح الأخ عدوا، والعدو أخا، والغريب مقبولا، والقريب مرفوضا، وصاحب الحق محتلا، والمحتل الغاصب صاحب الأرض، كل ذلك جعل بالضرورة الانتباه لما لهذا الأمر من تبعات مخيفة على بيئة المقاومة، على المستويات المكانية كالأرض، وماديا كالإنسان صاحب حق من جهة أولى، والعالم العربي والاسلامي من جهة أخرى، وتبعات ثالثة لصالح العدو الصهيوني المغتصب من الطرف الآخر. من هنا، يتشكّل الوعي من أدوات أساسية تتمثل في البصيرة والاستقامة (أ)، وتراكم القوة (ب).

أ. بالبصيرة والاستقامة:

إنّ أحد أهم ميّزات بيئة المقاومة هي البصيرة والاستقامة التي يعرّفها الإمام خامنئي بأنها «الوعي والتنبّه والتيقّظ ورسم الاتّجاه الصّحيح» . تحدث الامام دام ظله الشريف عن البصيرة والاستقامة كعناصر أساسية لتشكيل الوعي الذاتي والإنساني. فطرح سؤالا مهما في هذا الإطار وهو، «كيف تتحقق البصيرة؟ الجواب: من خلال تخطي الذات.» من هذا المنطلق بني الوعي الجمعي لدى البيئة الحاضنة للمقاومة الشعبية، التي خرجت من رحم المعاناة دفاعا عن النفس والكرامة والحق. وبدا واضحا أن هندسة الوعي بهذا المستوى ليست بالأمر السهل، ذلك أنّ المغريات كثيرة ومتعددة. وكما أشار الامام خامنئي أنّ « سبب انزلاق أقدام بعض الناس يعود في الأغلب إلى افتقادهم الوعي والبصيرة. فبعضهم مؤمن إلا أنه ينزلق وتزل قدمه بسبب عدم الوعي وافتقاد البصيرة. فالبصيرة اليوم على قدر كبير من الأهمية. وكلما وأينما وجُدت الفتنة والخداع والإعلام المضلّل تكتسب البصيرة أهميةً أكبر. واليوم ترون أن البراعة والحذاقة في الإعلام من العوامل المؤثرة في الساحات السياسية

والاقتصادية وغيرها. وإن الكثير من الناس في العالم يقعون تحت تأثير الإعلام في إرادتهم وتوجهاتهم في كل المجالات؛ كالبيع والشراء والسياسة، وسائر شؤون الحياة». من هذا المنطلق، من المهم التأكيد على أهمية البصيرة والاستقامة المرتبطة بمسار من التوعية والإرشاد والتوجيه الضروري للأفراد والجماعات، ليس فقط للمحافظة على الرصيد الذي حققته المقاومة لسنوات طويلة، بل ولاحتضانه أكثر وحمايته من أي اختراق قد يعمل العدو على تحقيقه من خلال أدوات الحرب الناعمة، بهدف تشويه وضرب كل قيم الصمود والمواجهة لمشروعه التدميري.

ان وعي وإدراك رجال المقاومة الذين ضحوا بأرواحهم من اجل قضية عادلة، لا يجب ان يذهب سدا. بالتأكيد هذا الرصيد هو مخزون مهم وفاعل، ومستمر، لكنه غير كاف اليوم، في ظل هذه الحروب الشعواء التي تستهدف المقاومة وبيئتها. عندما انطلقت المقاومة الإسلامية في لبنان، حمل رجالاتها الوعي والبصيرة، وتمكنوا من طرح شعارات جديدة، لإيقاظ الناس وارشادهم وتحذيرهم من المؤامرات والاخطار، واستطاعوا قيادة الناس وانقاذهم من المطبّات والمنعطفات. لقد كانوا موجودين في ساحة المواجهة، ونجحوا في نهاية الأمر في تحقيق الإنجازات على الأرض، بالانتصارات المتعددة، وثبّتوا القوة والعمق في الفكر الذي امنوا به وعشقوه.

ومثلما راهنت المقاومة على تهيئة وبناء الفرد، الذي يجب ان تكون قدراته مميزة، أي لديه قدرة على التقدير، واخذ القرار، والإدارة، وجمع المعلومات بطريقة صحيحة، والقتال الفردي بنسبة عالية، وفهم التجهيزات من حوله، والقدرة على الاكتفاء الذاتي لتسيير أموره. تراهن المقاومة اليوم على بيئة مترابطة الأطراف، حاضنة لمشروع المقاومة وحامية له وداعمة لمسار المواجهة بكل تفاصيله المادية والمعنوية. بالتأكيد لا يمكن ان يتحقق ذلك بدون وعي بالثوابت والمبادئ.

اليوم مطلوب من هذه البيئة تمييز وتحديد مخاطر ونقاط ضعف هذه المرحلة التي تختلف كثيرا عن مخاطر المرحلة السابقة وهي أكثر تعقيدًا، وأن يحدد العدو، وتحدد سبل وطرق مواجهة هذا العدو. كيف يمكن ذلك؟

عندما تمتلك هذه البيئة رؤية كونية صحيحة نافذة وقوية، وتكون علاقتها بقضايا العالم وثقافته ومعلوماته وتحولاته الثقافية والعلمية على درجة عالية من الأهمية بحيث تكمل بناء الوعي وتصنع من أبناء هذه البيئة اشخاصا يتحملون مسؤولية بناء المستقبل، هنا يمكننا القول بان البصيرة والوعي هما الركيزتان الاساسيتان لتحقيق ذلك دون شك.

يشير السيد القائد خامنئي الى أنّ «البصيرة - كما يعبّر عنها اليوم في عرفنا - هي التحليل السياسي والوعي السياسي نفسه. علينا معرفة تموضع العدو، وتموضع الصديق؛ من هو العدو ومن هو الصديق. على الإنسان أن يعرف عدوه، أين هو عدوه. وعندما تعلمون ذلك ستطلقون النار بكل سهولة وستصيبون الهدف. أما إذا لم تعلموا، فستطلقون النار على رؤوسكم. يصبّ بعضهم النار على رؤوس خاصتهم وأنفسهم! بسبب عدم امتلاك البصيرة وعدم الوعي وعدم القدرة على التشخيص! والويل عندما يجتمع عدم امتلاك الوعي والتشخيص مع بعض النوايا والمقاصد والضعف الأخلاقي!!». اليوم، تواجه المقاومة وبيئتها أخطر مراحل الاستهداف المباشر، في ولاءها وانتماءها الوطني والعروبي والاسلامي، لذلك لابد ان تكون محصنة، ليس فقط ببصيرة وفهم وتمسك بالثوابت، انما أيضا بتحمل المسؤولية، فيشعر كل فرد في هذه البيئة بمسؤوليته، وان له دور أساسي فيها-لا ان يقف على هامش الاحداث- ويتحرك في حياته بهدي الايمان، لأن للإيمان دورًا كبيرًا في تقدّمه في الميادين كافّة، وفي التغلب على كل ما يعترض سبيله من عقبات، وان يكون على وعي وبصيرة من أمره كما أشار السيد القائد.

ب. تراكم القوة

انّ الحديث عن أسباب انتصار حزب الله في حين يهزم الاخرون، يكمن في تقديرنا في امتلاك الحزب لمقومات الانتصار الرئيسية من قبيل قيادة سياسية مضحية وواعية بالقضية وبالمرحلة التي تمر بها ويقف على قمّتها السيد حسن نصر الله الذي ضحى بابنه الشهيد هادي، في سبيل الله والوطن، ثم يأتي امتلاك الحزب لترتيب صحيح (لفقه الأولويات) وعدم التورط في

القضايا الثانوية الداخلية او الإقليمية، والتركيز على الصراع مع العدو الرئيسي، يضاف الى ذلك بل يسبقه ايمان ديني وعقائدي عميق جعل كل عناصر المقاومة تنطلق نحو هدفها في ثبات وصدق وعزيمة غير قابلة للهزيمة لان الامر لديها كان اما نصرا او استشهادا. ويكمل هذا كله، قدرة الحزب على توحيد الشعب اللبناني والقيادة اللبنانية خلف نضاله، بل امتلاكه أيضا، لشعبية عربية وإسلامية جارفة جمعت الأمة كلها خلفه. هذه العوامل مجتمعة كانت هي عوامل الانتصار الفذ لحزب الله، بسبب الروح والإرادة المجتمعتين في عقل وكيان كل مقاوم لم يتردد لحظة في تقديم التضحيات لتحقيق الانتصار.

إنّ إدارة المواجهة من صميم العمل المقاوم، والهدف الأساس هو صناعة الوعي المقاوم أولا في ذهنية البيئة الحاضنة لهذه المقاومة، وثانيا في ذهنية شعوب المنطقة خاصة في فلسطين ولبنان، بل ولدى كل الأحرار في العالم. لقد نجحت المقاومة في إدارة التحول – على الرغم من كل التحديات من امتلاك القوة إلى إدارة المواجهة لإحداث التغيير في الصراع مع الكيان الصهيوني. كما نجحت المقاومة في تغيير المفاهيم التي ارتبطت بجملة من الاحداث أساسها الاستسلام للوقائع المفروضة من قبل المحتل وحلفاءه، والاعتراف بتفوقه النوعي والكمي، وبالتالي الرضوخ لشروطه. من هذا المنطلق، أصبحت المقاومة عنوان التحدي، ورأس الحربة لإنشاء التغيير في هذه المفاهيم لدى الأجيال المستهدفة، والتي يعمل العدو على اغواءها وبطرق مختلفة لفصلها عن بيئة المقاومة بكل الطرق والأساليب.

من المهم التأكيد على أنّ تراكم الخبرة في مقارعة الأعداء ودحر الإرهاب ورصّ الصفوف، بين أطراف محور المقاومة من إيران إلى العراق وسورية ولبنان وفلسطين واليمن، ساهم مساهمة كبيرة في تشكُّل الوعي وتجذّره لدى دول المنطقة.

لا شَّك في أن المحفّز والمحرّك، لكلّ ما تحققه الشعوب، هو درجة الوعي التي تتوصل إليها هذه الشعوب، والتي غالباً ما تكون نتيجة تراكمات طويلة الأمد، وتفاعلات محلية وإقليمية ودولية، تشمل معظم مناحي الحياة،

وتعبّر عن خبرة الشعوب التاريخية، وتلاقُح هذه الخبرة مع المعطيات الجديدة. ولأن دورة الحياة قصيرة، فإن معظم المؤرخين يحاولون أن يجدوا تفسيراً للظواهر التي يعايشونها، من دون أن يتمكَّنوا من إعطاء مرحلة الإنضاج الأهميَة التي تستحقّ، لأنها قد تتجاوز العمر المتاح لهم، ولا يتسنّى لهم أن يقرأوا مؤشِّراتها خلال حياتهم القصيرة. وقد أتقن البعض استغلال هذا العامل الزمني، وإهمال اللامرئي منه، كي يقنعوا بعض أولياء أمور الشعوب بأن يتوصَّلوا إلى صفقات مجحفة بحقهم وبحق شعوبهم، لأنهم لم يتمكنوا من الركون إلى ما قد تحمله الحقب المقبلة من ثمرات لمن يليهم من الأجيال. والملاحظ منذ حرب عام 1973 على الأقل إلى حدّ اليوم، أن العدو الصهيوني يستخدم مقولة «نفاد الوقت» وأهمية التوصل إلى «صفقة»، اليوم وليس غداً. وتمكَّن، من خلال الإلحاح على هذه المقولة الزائفة، من استجرار اتفاقات وصفقات مع حكّام عرب، ما كان ليحلم بها لو أن الطرف المقابل اعتمد النظرة الاستراتيجية للصراع، ولم يراهن على تحقيق ما اعتبره إنجازاً أو انتصاراً خلال حياته القصيرة.

هذا الرهان هو رهان على استمرار الإيمان بالقضية والحقوق، واستمرار الإيمان بأن الأجيال المقبلة لن تكون أقلّ انتماءً، أو أقلّ بذلاً وعطاءً من أجل استعادة الحقوق وتحرير الأرض من الاحتلال. وهذا الرهان مناقض لرهان السادات مثلاً، حين وقّع اتفاقية «سيناء 2»، ثم «كامب دافيد»، ظناً منه أن عليه أن ينجز السلام خلال حياته بغضّ النظر عن ماهية هذا السلام وانسجامه مع تحرير الأرض وإعادة الحقوق. وكذلك الأمر مع اتفاق «وادي عربة»، والأمر ذاته ينطبق على المنظور الذي أدى إلى اتفاق «أوسلو»، في الوقت الذي كانت المفاوضات في واشنطن تسير لمصلحة العرب، وكان الكيان الغاصب في مأزق حقيقي، فشكّل اتفاق «أوسلو» انفراجاً للعدو، إقليمياً ودولياً، وما زال يحصد نتائجه على حساب الحق العربي، إلى حدّ اليوم.

بالمقارنة مع هذا المسار، وحين بدأ ما سمّوه «الربيع العربي»، وجيّشوا له تمويلاً نفطياً سخياً، وتسليحاً للإرهابيين، وتدريباً مخابراتياً غربياً، ومكنة

إعلامية هائلة تضلِّل البشر وتصيب الأبصار بغشاوة تجعل الرؤية شبه مستحيلة، انهارت إرادات واهتزّت معنويات، وفقد كثيرون الثقة بإمكان فعل أيّ شيء للوقوف في وجه هذا التسونامي المعادي للعرب وحقوقهم. لكنّ القراءة الاستراتيجية للأحداث، من جانب سورية وإيران والقوى المقاومة في العراق ولبنان وفلسطين واليمن، واجهت هذا التحدي بثبات في الأرض، واستعداد لتقديم التضحيات مهما بلغت، لأنها أقلّ ثمناً من الانكسار والانهزام أمام هذه العاصفة الإرهابية الغربية الهوجاء. وخلال 10 سنوات من الصمود، وانضمام الحلفاء الدوليين إلى هذه المعركة، والمتغيرات الدولية التي ضاقت ذرعاً بالقطب الواحد وهيمنته، وخصوصاً بعد وصول الصين إلى مرحلة إثبات وجودها كقطب لا يمكن تجاهله أبداً، بدأ الوعي، عربياً وإقليمياً ودولياً، يتحول، ويمتلك الثقة بالنفس، وإدراك أن عناصر القوة تتشكَّل لخوض المعركة الكبرى، وأن الهزيمة ليست قدراً على العرب، وأن الغرب والإرهاب لا يمكن لهما أن ينتصرا على إرادة الشعوب العربية وتصميمها.

تراكم الخبرة في مقارعة الأعداء ودحر الإرهاب ورصّ الصفوف، بين أطراف محور المقاومة من إيران إلى العراق وسورية ولبنان وفلسطين واليمن، ساهم مساهمة كبيرة في تشكُّل الوعي وتجذّره لدى دول المشرق، وتزامن ذلك مع مقاومة الصين وروسيا لهيمنة القطب الواحد، ومقاومة فنزويلا للإجراءات الأميركية والانتصار عليها. كل هذا رسّخ، يوماً بعد يوم، إيماناً في قلوب أبناء محور المقاومة بأن الثبات والتضحيات تؤتي أكلها، ولو بعد حين. وهكذا، بعد صمود سوريا، ورفضها كلَّ محاولات الابتزاز، وتقديمها التضحيات الجسام في الحرب ضد الإرهاب، شهدنا الهبّة الفلسطينية المباركة، والدور الذي أدّاه الجيل الشاب في الإقليم والشتات في كسر احتكار الغرب للصوت الإعلامي، والذي هو في غاية الأهمية لإيصال الحقيقة إلى أحرار العالم وكسب أصواتهم. وها هي معركة الوعي تنتقل إلى الجزائر وتونس، حيث عبّرت الشعوب هناك عن مواقفها الثابتة في دعم قضية فلسطين، وحق الشعب الفلسطيني في أرضه وديارِه. ولا شك في أن العدوى مستمرة، وأنها ستصل إلى كل شعوب المنطقة والعالم، بغضّ النظر عما يرتئيه ويخطّط له بعض الحكّام.

بقي أن نرتقي بأدوات الدعم لتواكب مرحلة الوعي الجديد، من الأغنية المقاومة، إلى الموسيقى، إلى الأفلام، إلى المسرح والكتابة والتأريخ والترويج لكل ما له علاقة بالهوية الأصلية الحضارية لهذا المشرق العربي، منطلقين من ثقة أكيدة بأن الوعي بدأ في التشكُّل والنضج، وأن كل ما علينا هو أن نواصل المسيرة مع تحديث أدوات التفكير والاستراتيجية والمقاومة وتطويرها، والتنسيق مع قوى المشرق العربية الصاعدة، والتي تتَّبع مساراً مشابهاً لمسارنا المقاوِم للهيمنة الاستعمارية المبنية على نشر الحروب والإرهاب ونهب الثروات، مع الإيمان المطلق بأن الشرق في بداية مرحلة نهوض مستمر، وأن ما درجت عليه قوى الاستعمار والاحتلال الغربية الاستعمارية يتآكل ويندثر، يوماً بعد يوم، على أيدي القوى الحرّة في العالم، والتي ستصنع مستقبلاً عادلاً وملهماً للأجيال المقبلة.

تحويل التهديدات إلى فرص

استكمالا لتراكم القوة يتم إدارة معركة الوعي من خلال التمكن والفاعلية في إدارة الحرب النفسية على العدو أي كي الوعي الجمعي في مجتمعه المدني والعسكري (أ) من ناحية، ومن خلال تحقيق الإنجازات واسقاط رهاناته (ب).

أ. إدارة الحرب النفسية على العدو

لا تستكمل مفاعيل الحرب النفسية، ولا يمكن لها أن تؤتي أكلها على نحو موجب، دونما عملية جراحية معقدة ودقيقة تستبطن تثوير الوعي العربي الجمعي العام، واستنهاضه وتنشيط روافعه وحوامله، من خلال إعادة تخليق وإنتاج الصورة التي يتحملها الانسان العربي عن الكيان المؤقت (الأسطورة، الفزاعة، القدر المحتوم، اللعنة الأبدية التي لا تردّ ولا تبدّل ولا تزول، الجيش الذي لا يقهر...)، وبالتالي إعادة انتاج الصورة التي يحملها العربي عن نفسه، وعن حقيقة قدراته وامكاناته وأسباب القوة لديه. ركّزت المقاومة في حزب الله على تفعيل الاشتغال والعمل، على نحو متواز ومتسق، في سياستين

استراتيجيتين الأولى تدأب على توفير العناية والاهتمام بكل ما من شأنه تحريك الوعي لدى بيئة المقاومة والبيئات المساندة لها، وتقديم المنشّطات اللازمة لفعل الاستنهاض والجاهزية والتوثب والتحفيز والحضور الفاعل. ثانيا، بكيّ الوعي الإسرائيلي العام كما بتوهينه وتثبيطه وانكفائه، وفرملة اندفاعته وانطلاقته وكبح جماحه والنيل من عزيمته وارادته: « لقد تغيرت المعادلات والحسابات» يقول السيد حسن نصر الله « والعدو هو الذي يجب ان يبقى خائفا وقلقا وهو خائف وقلق، ولكن اضافة الى ايجاد حالة الخوف عند العدو يجب ان يكون لدينا ليس حالة عدم الخوف فقط، بل حالة الاستعداد واليقين والايمان والثقة بالنصر، بأنه نعم الحرب المقبلة سنواجهها وننتصر ونغير المنطقة.

لاشّك أنّ انعام النظر النقدي الفاحص في مشهدية الصراع المرير بين الكيان المؤقت وحزب الله يكشف كيف كان الاخير يوظف اي انجاز او فتح او نصر يتوافر عليه في ساحة المواجهة مهما كان ضئيلا او متواضعا، مستعينا في سبيل ذلك بغير وسيلة واسلوب في خدمة شدّ عصب شارعه، والشارع العربي والاسلامي، وفي شحذ همم جماهيره وأنصاره، ورفع وتعزيز روحهم المعنوية، وفي تعميق ثقتهم بمشروعه ومسيرته ونهضته، كما في اعداد المقاومين اعدادا صارما على نحو يجعل منهم مبادرين، مستعدين للتضحية والفداء، حاضرين في الساحات متبنين ومناصرين للقضايا الوطنية والقومية الكبرى.

من هذا المنطلق لم تكن المقاومة الإسلامية في لبنان في سبيل تحقيق ذلك، في حاجة الى تبني خطاب تحريضي أو اختلاق عناوين ديماغوجية، ولا اصدار شعارات زائفة ومواقف مضللة، لان قضيتها المركزية الام وأطروحتها للصراع هي عينها قضية واطروحة عموم العرب والمسلمين، بل كان يكفي لهذه المقاومة أن تجلب نصرا مؤزّرا بائنا، في قبالة همجية الالة العسكرية الاسرائيلية المتغطرسة، بعد سلسلة طويلة من النكسات والهزائم والانكسارات والاخفاقات التي منيت بها الحكومات والانظمة العربية، كي تحرّك سواكن الامة، وكي تعيد تثقيلها بعد انعدام وزنها وفعاليتها وتأثيرها.

من اللافت ان انتصارات حزب الله قدمت رسالة واضحة مفادها « نحن قادرون». وذلك بعد ان زلزلت العقل العربي، على نحو دفع باتجاه تحريره من ذلك الوعي الزائف الذي عمل الكيان المؤقت طوال سنين وعقود على ترسيمه، والقاضي بعجز العرب وتخلفهم في قبالة تفوق العقل الاسرائيلي وتعاليه، فقد اصابت الرسالة التي استنبطتها انتصارات حزب الله هذا الوعي الزائف- الذي صيّر الى نشره وضخه- في عقول العامة، بعد أن أثبتت بالتجربة الواقعية الحية امكانية الحاق الهزيمة بالكيان الصهيوني، كما الاضرار بها، وأكدت بما لا يقبل الشكّ أنّ العقل العربي قادر على منازلة العقل الاسرائيلي، بل قادر على مزاحمته والتفوّق عليه في غير مجال وصعيد.

حرّكت انتصارات حزب الله الوعي العربي، وشكّلت تحريضا دافعا لألاف الشباب اللبنانيين للانخراط في صفوفه، والانتظام تحت رايته وولايته، وبالتالي الخضوع لدورات عسكرية مكثفة استعدادا للمواجهة المقبلة مع الجيش الاسرائيلي.

وهكذا نرى أن اهم ما تكشفت عنه حرب تموز 2006، وكان مثار ومدعاة اندهاش واستغراب الصديق قبل العدو، القريب والبعيد على حدّ سواء، هو صناعة الانسان وفق ما أفضى اليه مختبر حزب الله: الانسان-المقاتل بصلابته، وارادته، وشجاعته، وتضحيته، وبطولته، وحيلته، وذكائه، وقدرته على الصمود والمواجهة والمناورة، فضلا عن تمايز ملحوظ في ادارة الحرب وصولا الى استجلاب وتحقيق النصر.

كذلك الانسان- المواطن بقدرته على تحمل الصعاب، وركوب موج المخاطر والشرور، والاستهانة بالموت، والاستخفاف بالحروب، وتكبّد ويلاتها، وما قد تسفر عنه من دمار وقتل ومجازر وتهجير، هذا فضلا عن اطمئنانه، وسكينته، وعميق ثقته بقادته كما بالنصر المؤزّر، «فقبل السلاح ومع السلاح وبعد السلاح»، يقول السيد حسن نصر الله مقاربا أطروحة النصر، والغلبة «عنصر القوة الحقيقي هو هذا الشعب وهؤلاء الاهل وهؤلاء الرجال والنساء والكبار والصغار، هذه العقول المؤمنة، والقلوب الشجاعة والارادات الصلبة، والعزائم التي لا تلين، والانفس المستعدّة للتضحية، قيمة هذا السلاح أنّه في يد هؤلاء

الرجال، وأنّ هناك من يحتضنهم، ويدافع عنهم، ويحميهم، ويثق بهم ويراهن عليهم، هذا السلاح الرهان فيه على القبضة التي تسمك به، على القدم الثابتة في الارض..» .

عكف حزب الله على اعادة صياغة الوعي العربي الجمعي، والوعي الاسلامي العام، وعلى اعادة انتاج، او اعادة تشكيل ثوري لكل من المشروع الاسلامي والثقافة العربية، من خلال تخيّر دقيق ومتوازن—بعناية بالغة- للمفاهيم الاسلامية المستمدة من القران الكريم، ومن السير النبوية الشريفة، ومن الوقائع في التاريخ العربي والاسلامي، وذلك كتعبير ضمني وصريح عن إدراك الخزين الثوري الهائل الكامن في المشروع الاسلامي. كما أدخل حزب الله وبمهارة فائقة كل التاريخ العربي والاسلامي في المعركة مع الكيان الصهيوني، ووظفهما أحسن توظيف: ففي توصيفه للكيان الصهيوني بأنه «اوهن من بيت العنكبوت»، لا يكون السيد حسن نصر الله قد اختار مفهوما اسلاميا قرآنيا لغرض صياغة فكرة وصورة جديدتين للكيان وحسب، بل يكون قد أبطل مرة والى الأبد» مفعول هزيمة حرب 1967، وكل ما ترتب عليها من استدخال للهزيمة في الوعي العربي، والاقرار العاجز بوجود الكيان المؤقت واستدامته.

نجح حزب الله في تجويف الوعي الاسرائيلي وكيّه، والاضرار بمخياله، والتعرّض لمحفزاته ومنشّطاته روافعه وحواملة، حتى وصل الى حالة من الانتكاس في طبقاته، والى حالة من القلق والخوف والهلع واليأس والاحباط، بسبب انعكاسات وتأثيرات التشكل النمطي لصورة حزب الله لديه، الامر الذي انعكس عزوفا عن الالتحاق بالخدمة العسكرية، كما انعكس فرار من أرض المعركة، وتحاشيا وتجنبا لكل اشكال الاحتكاك والالتحام المباشر مع مقاتلي حزب الله. تقود هذه المعاينة الفاحصة للتهديد الذي طالما مثله حزب الله على صعيد الصراع مع الكيان الصهيوني» الدولة» والجيش والكيان، الى الوقوف على عتبة وعي صحيح بكل المسالك والمسارب المفهومية التي تسلل عبرها هذا الحزب الى المخيال والذاكرة والعقل، كما الى الوعي الاسرائيلي الجمعي العام.

ب. نجاح المقاومة واسقاط رهانات العدو

بعد مضي 23 عاما على تحرير الشريط الحدودي الجنوبي من الاحتلال الإسرائيلي (25 أيار 2000)، باتت نتائج هذا التحرير وتداعياته الاستراتيجية والتاريخية، أكثر تألقاً. فخصوصية التحرير أنه شكّل ايضا محطة تأسيسية في حاضر لبنان ومستقبله، وغيّر مسار التاريخ في المنطقة. كما شكّل تتويجاً لمسار أسقط أهداف الاجتياح الاسرائيلي في العام 1982، وساهم، مع انتصار العام 2006، في اعادة صياغة وعي قادة الكيان المؤقت، لجهة إدراكهم حدود قوتها ونظرتها الى ذاتها والى الآخر المعادي. والاهم أنه ايضا أحدث تحولاً في نظرة اللبنانيين الى مقاومتهم التي غيرّت معادلات الصراع وواجهت بأقل الامكانات وأصعب الظروف، قوة اقليمية عظمى تشكل تهديدا وجوديا لهم. تجاوزت مفاعيل التحرير من كونه اخراجا للاحتلال من مساحات جغرافية محددة، الى اخراج الكيان (بالمعنى المباشر) من المعادلة الداخلية في لبنان (تعزَّز هذا الجانب لاحقاً بانتصار العام 2006). ونجحت المقاومة في هذه المهمة بعدما حولت الاحتلال الى مشكلة داخلية اسرائيلية، تطور الى ضغط متصاعد على القيادة الاسرائيلية من أجل الخروج من المستنقع اللبناني. لم يتبلور هذا الواقع، إلا بعد عدد من المحطات والمراحل والمواجهات المتعددة التكتيكات والاساليب. ومن أبرز ما تميز به حزب الله في هذا السياق، أنه صنع تكتيكا صاروخيا حوّل بموجبه الاحتلال لمنطقة الشريط الحدودي الى عبء على مستوطنات شمال فلسطين المحتلة، بدلا من أن يكون حزاما أمنياً لها. ونجح من خلال فرض معادلة الصواريخ التي كانت تنهال على المستوطنات رداً على استهداف المدنيين والعمق اللبناني، إلى تحويلها الى قيد اضافي على صانع القرار السياسي والأمني. واضطرت القيادة الاسرائيلية، بعد فشل جيش الاحتلال في كسره (القيد) خلال عدواني 1993 و1996، إلى الالتزام بالمعادلات التي فرضها حزب الله. وهو ما وفر للمقاومة المظلة التي مكَّنتها من مواصلة عملياتها، وصولا الى تبلور قرار الانسحاب من لبنان.

استنادا الى هذه التحولات في وعي قادة العدو وجمهوره، نجحت مقاومة حزب

الله في أن تسلبهم التلويح بخيار الاحتلال البري، وهو أهم رعب كان يسيطر على سكان لبنان لدى الحديث عن أي مواجهة مع كيان العدو. في المقابل، انتقل الرعب الى الداخل الاسرائيلي، وهو ما تم التعبير عنه على ألسنة النخبة الاسرائيلية بأشكال مختلفة، لدى طرح أي سيناريو ينطوي على فكرة اعادة احتلال اجزاء من لبنان. ومع تجذر التسليم بحدود قوة سلاح البر الاسرائيلي في مقابل مقاومة حزب الله، أقرت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية - بقلم النائب السابق رئيس الاركان، اللواء يائير غولان - بصورة صريحة ومباشرة، بعدم ثقة القيادة العليا بالجيش البري. في المقابل، تعقَّدت مشكلة الكيان المؤقت أكثر مع اتضاح حقيقة انه بعيدا عن البر، لا فرصة للحسم العسكري مع المقاومة، وهو ما أقر به الرئيس السابق لأركان جيش العدو غادي أيزنكوت للجمهور الاسرائيلي، بالقول انّ الانتصار في الحرب سيأتي حصراً عبر مناورة القوات البرية التي ستحتل الأرض وتهزم العدو. هكذا وجد الكيان المؤقت نفسه أمام خيار جوي عقيم ومكلف جداً لعمقه الاستراتيجي، بفعل نجاح حزب الله في إبداع تحويل الجبهة الداخلية الى جبهة قتال حقيقية. وبحسب تعبير غولان «تنتظر الجبهةَ الداخلية سيناريوات لم تشهدها طوال تاريخها في كل الحروب التي خاضتها في مواجهة الجيوش العربية». وعلى المقلب الآخر، هي أمام خيار بَرّي متعذر - ومن دونه لا يوجد حسم عسكري - بعدما أدركت أنه مكلف الى المستوى الذي ترى فيه قيادة حزب الله فرصة لتدمير سلاحي المدرعات والمشاة في جيش العدو. لم يكن تحرير العام 2000 انتصارا للبنان وحده. بل كان انتصارا ايضا لفلسطين والشعوب العربية. فقد قدمت المقاومة في لبنان ابداعاً ناجعاً في مواجهة تفوق الاحتلال على كافة المستويات، من موقع التجربة المدوية في نجاحها. وأثبتت أن بالإمكان الانتصار عليه من دون انتظار استراتيجية عربية مشتركة، المطلوبة بدورها في كل حين على قاعدة التحرير. وأظهرت أن لدى الشعوب العربية خياراتها البديلة عن التسليم بالوقائع التي فرضها الاحتلال، وهو ما يُفسر محاولات تطويق حزب الله في لبنان، ومعه المقاومة في فلسطين، وتشويه صورتها منعاً لاستكمال انتشار العدوى القادرة على اعادة صناعة

التاريخ بالاتجاه المعاكس لما تدفع نحوه الولايات المتحدة والعدو الاسرائيلي.

من هنا، يتضح أن الحملة الدعائية التي يقوم بها الكيان المؤقت، وتتناغم معها قوى محلية وإقليمية ودولية، هي من ضمن عدة مسارات تسعى الى تحريض الشعب اللبناني عموماً، وجمهور المقاومة خصوصاً على حزب الله، على أمل أن يساهم ذلك في تقويض قاعدته الشعبية ويفاقم الضغوط عليه من أجل إجباره على تقديم تنازلات تتلاءم مع أولويات ومصالح كيان العدو.

انطلاقاً ممّا تقدم، تندرج كل الخطوات التي تقوم بها المقاومة، ضمن إطار ما يُعرف بـ«معركة الوعي»، التي باتت تحتل جزءاً أساسياً في استراتيجية الكيان المؤقت ضد أعدائه. يكفي ان نشير في هذا الإطار الى دراسة صادرة عن معهد أبحاث الأمن القومي في تل أبيب، حول استراتيجية الجيش التي نشرت عام 2018، التي سعت إلى إنتاج قدرة تأثير على بلورة الوعي في صفوف أعدائها والقوى الشعبية والسياسية للتأثير في مواقفها وخياراتها. ولهذه الغاية عمدت الى تطوير أدوات للتأثير الواسع والمركّز. ولفتت الدراسة الى أن معركة الوعي تحتل حيزاً أساسياً باعتبارها «جهداً مستقلاً ومرافقاً ومُكمّلاً لمختلف الجهود الأخرى»، الهجومية والدفاعية واللوجستية، بحسب ما تنص عليه استراتيجية الجيش. لكن اللافت أيضاً أن البند المتعلق بـ«معركة الوعي»، تم إدراجه في «فصل استخدام القوة» (في استراتيجية جيش الاحتلال) إلى جانب المناورة والنيران المتعددة الأبعاد، وأيضاً كان لها مكانتها فيما يتعلق بالقدرات الناعمة على مستوى (حرب) المعلومات والوعي والشرعية والقانون. من هنا يمكن القول إنّ إدراكنا الحقيقي لإرادة العدو تجعلنا أقدر على مواجهة هذه الإرادة في نطاق حرب الإرادات والصراع عليها. نحن مطالبون بالسعي والبحث وبذل الجهد من أجل التوصل إلى معرفة الواقع كما هو لا كما نحب أن يكون، ولا كما يريد العدو أن يكون.

رصيف 22

كيف نظر الشيعة إلى الفتوحات الإسلامية المبكرة؟

2023/3/27

محمد يسرى

في القرن السابع الميلادي، تمكن المسلمون من تحقيق العديد من الانتصارات المدوية على كل من الإمبراطورية البيزنطية الشرقية والإمبراطورية الفارسية الساسانية. إثر تلك الانتصارات، فرضت دولة الخلافة الإسلامية سيطرتها على مساحات واسعة من منطقة الشرق الأدنى القديم.

واشتهرت تلك الغزوات تحت مُسمى «الفتوحات الإسلامية»، وحظيت بقدر كبير من الاعتبار والتقدير في الذاكرة السنّية الأرثوذكسية المرتبطة بالسلطة الحاكمة. على الجانب الآخر، لم تلقَ الفتوحات الاعتبار نفسه في الذاكرة الشيعية الجمعية، إذ نُظر إليها بوصفها حروباً دنيوية اتخذت من الدين ستاراً لها .

النظرة السنّية التقليدية

يُطلَق اسم الفتوحات الإسلامية المبكرة على الحروب التي خاضها المسلمون تحت راية دولة الخلافة الراشدة، ومن بعدها الدولة الأموية في القرن الأول الهجري. بدأ الخلفاء الراشدون تلك الحروب عقب القضاء على حروب الردة داخل شبه الجزيرة العربية في السنة الـ 11 من الهجرة، وكان الخليفة الأول أبو بكر الصديق أول مَن بعث بالجيوش الإسلامية لتقاتل على الجبهة العراقية.

نجح المسلمون في عهديّ أبي بكر وعمر بن الخطاب وفي النصف الأول من خلافة عثمان بن عفان من التوسع بشكل سريع ومطرد في مساحات واسعة من أراضي

العراق والشام ومصر وبلاد فارس وشمال إفريقيا. وتوقفت تلك التوسعات عقب اغتيال عثمان بن عفان واندلاع الحرب الأهلية بين معسكري العراق والشام في زمن خلافة علي بن أبي طالب وبدايات الدولة الأموية. ثم استُكملت الفتوحات مرة أخرى على جبهات الهضبة الإيرانية والمغرب الكبير وبلاد الأندلس في عهد عبد الملك بن مروان وأبنائه في سبعينيات القرن الأول الهجري.

بشكل عام، ينظر التقليد السنّي إلى تلك العمليات العسكرية بإيجابية وتبجيلية. بُنيت تلك النظرة على أساس الاعتراف بشرعية الأنظمة السياسية التي قادت تلك المعارك (الخلافة الراشدة والخلافة الأموية)، كما اتّسقت مع الكثير من الروايات المنسوبة للنبي والتي أمر فيها بالجهاد، ومنها ما أورده البخاري في صحيحه: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله».

وعُرف ذلك النوع من القتال في المصطلحات الفقهية الإسلامية باسم «جهاد الطلب»، وعرّفه القرطبي في تفسيره بأنه «فرض على الإمام، إغزاء طائفة إلى العدو كل سنة مرة، يخرج معهم بنفسه أو يُخرج مَن يثق به، ليدعوهم إلى الإسلام ويرغّبهم ويَكفّ أذاهم، ويظهر دين الله عليهم، حتى يدخلوا في الإسلام، أو يعطوا الجزية عن يد».

حاول الكثير من رجال الدين المسلمين الدفاع عن مشروعية الفتوحات الإسلامية في العصر الحديث، ولا سيما مع كثرة الانتقادات التي طالتها من جانب التيارات الاستشراقية والعلمانية المعاصرة. على سبيل المثال، عمل رجل الدين المصري يوسف القرضاوي على تبرير تلك الفتوحات فقال إن هدفها تمثل في «كسر شوكة السلطات الطاغية والمتجبرة، التي كانت تحكم تلك البلاد، وتحول بين شعوبها وبين الاستماع إلى كلمة الإسلام... وتريد أن يبقى الناس على دينها ومذهبها، ولا يفكر أحد في اعتناق دين آخر، ما لم يأذن له كسرى أو قيصر، أو الملك أو الأمير... ومن هنا كانت الحرب الموجهة إلى هؤلاء الملوك

والأباطرة، لهدف واضح، هو (إزالة الحواجز) أمام الدعوة الجديدة، حتى تصل إلى الشعوب وصولاً مباشراً، وتتعامل معها بحرية واختيار، لمَن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، وليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيا من حيا عن بيّنة...».

الرأي الشيعي التقليدي... الرفض المطلق

يمكن القول إن الرأي الشيعي التقليدي رفض الفتوحات الإسلامية بشكل قاطع. بُني هذا الرأي على أساس العقائد الشيعية الإمامية التي ترى أن السلطة الإسلامية الحاكمة التي جرت في عهدها تلك الفتوحات لم تكن إلا سلطة فاسدة، غير شرعية، وذلك لأن الخلفاء الراشدين والأمويين اغتصبوا حق الأئمة المنصوص على ولايتهم بالنص الإلهي الواضح الصريح الذي لا سبيل إلى إنكاره أو التغافل عنه.

مصادر شيعية كثيرة أكدت أن الجهاد الشرعي لا يقع إلا بصحبة الإمام العادل. على سبيل المثال، ينقل الحر العاملي في كتابه «وسائل الشيعة» عن الإمام الأول علي بن أبي طالب قوله: «لا يخرج المسلم في الجهاد مع مَن لا يؤمن على الحكم، ولا ينفذ في الفيء أمر الله عزّ وجلّ، فانه إنْ مات في ذلك المكان كان معيناً لعدونا في حبس حقنا والإشاطة بدمائنا (أي قتلنا) وميتته ميتة جاهلية».

ونقل محمد بن يعقوب الكليني في كتابه «الكافي» المعنى نفسه عن الإمام الخامس محمد الباقر. يقول: «لا أعلم في هذا الزمان جهاداً إلا الحج والعمرة، والجوار (يقصد مجاورة العلماء)».

وفي السياق نفسه، أورد محمد باقر المجلسي في كتابه «بحار الأنوار» قول الإمام الثامن علي الرضا: «والجهاد مع إمام عادل، ومَن قاتل فقُتل دون ماله ورحله ونفسه فهو شهيد ولا يحل قتل أحد من الكفار في دار التقية إلا قاتل أو باغ».

مؤمنون بلا حدود
في نمط البناء السياسي الإسلامي وبلورة نظرية الإمام المعصوم بين السنة والشيعة
2023/1/28

صبحي عبد العليم

الملخص:

«ما سُلّ سيف في الإسلام قطّ مثلما سُلّ على الإمامة»، هكذا قال المؤرخ الإسلامي الشهير في مللـه ونحلـه؛ فالتاريخ الإسلامي ينضح بنظريات الإمامة وصراعاتها التي أخذت الطابع الديني لنفسها، ومن ثم تحول الصراع إلى صراع ديني، وأضحت كل فرقة ترى في نفسها الحق الديني والشرعي من قبل الإله للحكم وتولّي الإمامة، وأنتج هذا الصراع أكبر تيارين في التاريخ الإسلامي وهما التيار السني والتيار الشيعي، وبلور كل منهما نمطه الديني والتعبدي تبعا لتوجهاته، وأخذ يعيب في التيار الآخر مستندا على العقل والمنطق تجاه القضايا الإيمانية للتيار الآخر دون الانتباه إلى الحاجة لمعقولية قضاياه الإيمانية المفارقة التي لا تصمد أمام النقد المنطقي.

تحاول هذه الدراسة تقديم رؤية لنظرية الإمامة عند التيارين السني والشيعي بشيء من التركيز على التيار السني كونه يتخذ على الشيعة فكرة الإمام المعصوم ذو العلم اللدني متغافلا عن بنائه لنظرية الإمامة التي لا تختلف جوهريا عن نظيرتها الشيعية كونها تفضي في نهاية الأمر إلى حاكم؛ مرشد للدار الآخرة، قائد في الدنيا والآخرة، يحكم بهدى الله وبهبة منه وما يتضمنه هذا من نمط من أنماط العلم اللدني والعصمة.

كما أنها تبرز الدور الديني في صياغة نمط الإمامة عند التيارين (السني والشيعي)، حيث أنه لم يعدو كونه أداة رابحة بالنسبة للسلطة السياسية فأنتج كلا التيارين سيلا من الأحاديث النبوية تؤيد حكم كل فئة، وتم تقنين التوريث

بشكل ديني-وهو ما نهى عنه الدين في مواضع عدة- كما تمت صياغة الرغبات السياسية من خلال البنية الفقهية كي يتم استبعاد أي نوع من المعارضة، وهو ما أفضى إلى تأبيد هذه النظم ووضع غياتها ورغباتها ضمن البنية العقائدية للدين، ومن ثم تصبح نظرية سياسية تمت صياغتها من قبل عقل إلهي تتعالى على كافة النظم والنظريات السياسية الإنسانة وتتميز بالقدسية الإلهية، ويعد رفضها أو تبني أي نظرية سياسية إنسانية رفضا للقانون الإلهي وخروجا عن الدين.

مؤمنون بلا حدود
مسألة المرأة بين الإرادة السياسيّة والمحافظة الاجتماعيّة
2023/3/3

عبد الرزّاق القلسي، زينب الصمندي

ملخص:

تظلّ مسألة المرأة من بين المسائل الكبرى التي هزّت وما تزال تهزّ المجتمعات العربيّة الإسلاميّة على امتداد القرن العشرين. فقد تولّد عن تطوّر وضعيّة المرأة في كثير من هذه الدول تغيير عميق في المشهد الاجتماعي العام، بينما مستقبل بعض الدول الأخرى ظلّ محكوماً بالجدل حول الموضوع ذاته.

تبدو قضيّة المرأة، على هذا النحو، فضاءً تتراءى فيه ليس علاقة المرأة بالسّلط السياسية القائمة فحسب، وإنّما بالاختيارات الثقافية التي تمارس في مثل هذه السياقات، وبالمشروعات المجتمعيّة التي تتنافس في ظلّ هذه الظرفية الثقافيّة.

إنّ قضية المرأة تتخطّى الحيّز الذي خلقت فيه، ولأجل ذلك عمدنا في هذه المقاربة إلى دراسة تمظهر قضية المرأة في مختلف المنظورات المعتمدة من قبل النخب السياسية.

مؤمنون بلا حدود
صرخة أوليفيه روا ضد «الجهل المقدس» أو صرخة فصل الدين عن الثقافة
2023/3/8

بصدور كتاب «الجهل المقدس.. زمن دين بلا ثقافة»، يؤكد الباحث الفرنسي أوليفيه روا، أنه باحث من طراز كبير ونوعي هناك في المجال التداولي الغربي (الفرنسي نموذجا)، ومع أن الرجل اشتهر عند المتلقي العربي من خلال لائحة من الأعمال الجادة والمرجعية في تناول الظاهرة الإسلامية الحركية، ونخص بالذكر ثلاثية «فشل الإسلام السياسي»، «أوهام 11 سبتمبر»، «عولمة الإسلام» (أو «الإسلام المُعولم» كما جاء في ترجمة مغايرة.. إلا أن عمله الجديد هذا، يرتقي به مرتبة في سلم البحث العلمي الرصين. نحن في ضيافة كتاب «الجهل المقدس.. زمن دين بلا ثقافة» لأوليفيه روا، وترجمه صالح الأشمر، صدر عن دار الساقي، لندن، ط 1، 2012، وجاء في 341 صفحة من الحجم الكبير.

يتطرق المؤلف لجميع الديانات التوحيدية (اليهودية والمسيحية والإسلام)، ومعها العقائد الوضعية، لم يترك أي قارة دينية «مطمئنة البال»، خاصة أنه يعالج ثنائية العولمة والأصولية . نقصد الأصولية في الديانات الثلاث طبعا، ولدى باقي الطوائف والمعتقدات.. . كما أنه يتطرق لموضوع التحولات الدينية من هذا الدين إلى دين آخر، وهذا موضوع تطرق إليه الباحث هاني نسيره في عمل آخر يستحق التنويه، ويحمل عنوان: «الحنين إلى السماء»، حيث يرصد تحولات بعض الأقلام المحسوبة على المرجعية العلمانية، هناك في مصر المحروسة نحو التوجه الديني. قراءة الكتاب، تعفي المتلقي من مطالعة العديد من الدراسات والأعمال المُخَصّصة لملف الحركات الإسلامية (دعوية، سياسية أو «جهادية»)، وهذه لوحدها، «حسنة» لا تقدر بثمن، إن لم تكن من أهم «حسنات» الكتاب،

ما دامت تساعد القارئ غير المتتبع أو غير المتخصص في معرفة أسباب اختلاف طباع التديّن بين أهل الكويت وأهل كابول، عند أهل التديّن الإسلامي، وهكذا دواليك مع طبائع التديّن عن اليهود والمسيحيين..

من «حسنات» العمل أيضا، أنه يُمرر مفاتيح مفاهيمية هامة تساعد المتلقي غير المتتبع على قراءة أسباب عداء التيارات الأصولية للظاهرة الفنية، كما نعاين ذلك في المجال التداولي الإسلامي مثلا، لأن الحفر العلمي الرصين للمؤلف في ثنائية الدين والثقافة، سيفضي إلى تسليط الأضواء على العديد من النقاط والظواهر المسكوت عنها أو المغيبة من التداول البحثي أو الإعلامي. يجب التذكير أيضا في سياق التوقف العابر عند مضامين هذا العمل، أن أوليفيه روا، مرّ في طفولته من تربية مسيحية ملتزمة، قبل الانعطاف على تحولات فكرية لاحقا جعلت منه اليوم، قلما فرنسيا مرجعيا في تناول القضايا الدينية، وبالتالي في تعامله مع ثنائية الدين والتديّن، حيث إنه يؤسس تناوله هذا على الحذر المعرفي والابتعاد عن تمرير أحكام القيمة، بخلاف السائد مع أغلب المستشرقين القدامى والجدد، في أوروبا وأمريكا، مع بعض الاستثناءات الهامة التي نلمسها تحديدا لدى تيار عريض من المستشرقين الألمان على الخصوص. (هناك عمل صغير الحجم، وكبير الفائدة بالنسبة للذين يبحثون عن تقييم الاستشراق الألماني، وألفه رضوان السيد).

جاء كتاب أوليفيه روا موزعا على توطئة، ومدخل تحت عنوان «الحداثة والعلمنة وعودة الديني»، وسبعة فصول موزعة بدورها على قسمين: «اندراج الديني في الثقافة» (تضمن الفصول التالية: عندما يلتقي الديني الثقافة؛ من الحضارة إلى التعددية الثقافية، دين، عِرق، أمة؛ الثقافة والدين: القطيعة)، و«العولمة والديني»، (السوق الحرة أم الهيمنة بواسطة السوق؟ سوق الديني، وأخيرا، توحيد نمط الديني). هذه نماذج من الأسئلة المؤرقة والمؤطرة لهذا العمل القيم، كما نطلع عليها في مدخل الكتاب: لماذا يصبح عشرات الآلاف من المسلمين في آسيا الوسطى مسيحيين أو شهود يهوه؟ وكيف أمكن لكنيسة بروتستانتية إنجيلية أن

تتجذر في المغرب أو الجزائر؟ ولمَ تحقق الإنجيلية البروتستانتية اختراقا مدهشا في البرازيل ـ بلغ عدد أتباعها 25 مليونا في عام 2007 ـ أو في إفريقيا الغربية؟ وكيف نُفسر كون الخمسينية أو العَنْصَرِيّة هي الدين الأسرع نموا في العالم؟ ولم تستهوي السلفية الجذرية شبانا أوروبيين، بيضا أو سودا؟ وكيف أضحت القاعدة التنظيم «الإسلامي» الذي يضم أكبر نسبة مئوية من المتحولين إلى الإسلام؟ وعكسيا، لماذا تجد الكنيسة الكاثوليكية كثيرا من العناء في الاحتفاظ برعاياها وتشهد هبوطا في عدد المُلبين لدعوة الرب في الغرب؟ ولمَ باتَ المدافعون عن التقليد الأنغليكاني المحافظ هم اليوم نيجيريون وأوغنديون أو كينيون، في حين يؤيد كبير أساقفة الكنيسة الإنكليزية، رويان ويليامز، اعتماد الشريعة الإسلامية في القانون المدني للمسلمين البريطانيين ويجيز رسامة الكهنة المثليين؟ ولماذا تنكفئ الكنائس الأرثوذكسية على الهويات القومية، بخلاف البروتستانتية، وعلى غرار الهندوسية؟

لم تسلم العديد من الأطروحات الفكرية المروج لها خلال العقدين الأخيرين من المطرقة النقدية للمؤلف، لعل أبرزها أطروحة «صدام الحضارات» بتعبير صامويل هنتنغتون (أو «الحرب الحضارية» بتعبير المهدي المنجرة)، حيث اعتبر أوليفيه روا أن نظرية صدام أو حوار الحضارات لا تتيح فهم هذه الحركات المزعزعة التي تخلط الخرائط والأقاليم والهويات، وتحطم الروابط التقليدية القائمة بين الدين والثقافة، مُطالبا مروجي هذه الأطروحات بالحفر النقدي في مآلات انفصال الدين عن الثقافة، أو انفصال الدين عن جذوره الثقافية؟ أو على نحو أبسط، كما يتساءل روا: لِمَ تبدو الأديان اليوم وكأنها هي التي تضطلع بإعادة ترتيب للهويات؟

في إطار البحث عن أجوبة مُقنعة للأسئلة المُركبة التي افتتحَ بها المؤلف عمله هذا، توقف عند مقتضيات أهم فرضيات الساحة: تُفيد الأولى أن العلمنة سيرورة حتمية، وكونها شرطا للحداثة ونتيجة لها في آن؛ في حين تُفيد الثانية أن عودة الديني، تُجسّد صرخة ضد حداثة مستلبة أو وهمية، أو نوعا ما أشبه بصيغة

مختلفة للدخول في الحداثة، ويضيف روا أن الأمر لا يتعلق بجدل فكري صرف، لأنه في فرنسا، نجده في صلب النزاع حول اللائكية، من خلال عدم الحسم مع ازدواجية نظرية وعملية: هل ينبغي فرض اللائكية في مقابل الدين، وعلى حساب الحرية الفردية إذا اقتضى الأمر؟ أم إن التجديد الديني ما هو إلا انعكاس للتنوع، والغنى وللحرية الإنسانية؟ لولا أن هذا الجدل ينطوي على سوء فهم كبير: فالعلمنة لم تنسف الديني، وهي إذ تَفصِل الديني عن بيئتنا الثقافية فإنها تُظهره على العكس كديني محض. وقد عملت العلمنة عملها في الواقع: فما نشهده إنما هو إعادة صياغة مناضلة للديني في فضاء مُعَلَمن أعطى الديني استقلاله الذاتي وتاليا شروط توسعه: لقد أرغمت العلمنة والعولمة الأديان على الانفصال عن الثقافة، وعلى أن نعتبر نفسها مستقلة وتعيد بناء ذاتها في فضاء لم يعد إقليميا وبالنتيجة لم يعد خاضعا للسياسي. وينجم فشل الديني إسلاميو، حكومة دينية من أنه أراد منافسة العلمنة في ميدانها الخاص: الفضاء السياسي (أمة، دولة، مواطن دستور، نظام قانوني).

بهذا المعنى والاجتهاد الذي سَطره المؤلف، لا تعدو «عودة» الديني أن تكون من قبيل الوهم البصري: يجدر الحديث عن تحول الدين أمكن للرؤية وغالبا ما يكون منحرفا في آن، والأحرى أننا نشهد إعادة صياغة للديني لا عودة إلى ممارسة سلفية مهجورة إبان معترضة العلمنة، والملاحظ . كما نعاين ذلك بشكل جلي في الساحة العربية . أن هذه الاتجاهات تتماشى مع الرغبة في أوسع إمكانية رؤية الفضاء العام، وإحداث قطيعة بينة مع الممارسات والثقافات المهيمنة، ومن هنا تضطلع الأصولية بالقطيعة الثقافية، حيث يعتبر الأصولي . أو الإسلامي الحركي . أن معيار الانفصال هو الإيمان: لا نتقاسم إلا في الإيمان، أما التوافقي فيرى أن المؤمن يمكن أن يتقاسم ثقافة وقيما مشتركة مع غير المؤمن. بخصوص موضوع التحولات عن/ من دين إلى آخر، فإن مفردة تحول هنا يقصد بها حصرا تغيير الدين، فالمرء لا يتحول عن دين إلى ثقافة، ولعله يتكيف معها، أو يتعلمها، وتدل فجائية التحول دلالة واضحة على الانفصال بين ثقافة ودين، ولهذا السبب يعامل التحول غالبا معاملة المشتبه في أمره المتحول

الخائن (عائد إلى الهرطقة مثلا، مارق، مُتمرد، جاحد..) في نظر شركائه القدامى في الدين، وحديث عهد بالدين الجديد، تبقى حماسته مدعاة للريبة في نظر إخوانه الجدد؛

كما يرى روا أن التحولات الدينية كانت موجودة على الدوام، لكن التحولات الكثيفة كانت جماعية بوجه عام وحصلت في سياقات سياسية معينة (فتوحات، إستراتيجية إدماج، تعبير عن هويات محلية)، والجديد اليوم غَلَبة التحولات الحاصلة بناء على اختيار فردي وفي سياقات بالغة التنوع، كما أنها تتصف بالكثافة وتتساوق مع الاندفاع السريع للتيارات الدينية الجديدة، التي تنتشر إما داخل الأديان القائمة . كما هو السائد مع حركات كاريزماتية وإنجيلية في المسيحية على حساب الأشكال الأكثر ليبرالية أو التقليدية، وانتشار السلفية في الإسلام . وإما على شكل أديان جديدة، غالبا ما تنعت بأنها «بِدع»، لولا أن الظاهرة الرئيسية في هذه التحولات هي الانفصال بين الديني والثقافة، أي إن الأديان تجتذب الأتباع من خارج الثقافات المقترنة بها تقليديا، أو ذات تأثير على صعيد فقدان الهوية الثقافية غير متبوع يتثاقف: إنها بنفسها عن كل من الثقافات المكتنفة، المعتبرة دنيوية جدا، لا بل وثنية حتى، من غير أن تغدو مع ذلك هي المروجة للثقافات الجديدة.

بالنتيجة، لم يعد ثمة اتصال تلقائي بين ثقافة ودين، وغَدَت المعالم الدينية طليقة وعائمة، بل سوف تزداد التوترات حدة مع انتشار حالات التحول وتغيير الدين في العالم اليوم، إلى أن تحل اللحظة التي يصبح فيها الفصل بين الأديان والثقافات مستقرا في الأذهان: إن التحولات هي مفتاح لفهم ما يحدث، غير أن تعميمها المحتم سيكون أيضا الدليل على أن الأديان ستحيى من الآن فصاعدا على هواها في ما يتعدى الثقافات، وأن صدام/ حوار الحضارات ذائع الصيت، الذي يفترض وجود علاقة دائمة ومتبادلة بين الثقافة والديني، يبقى استنتاجا/ حلما عقيما، والخطاب موجه هنا بالطبع إلى مروجي أطروحة الصدام، ومعهم مُرَوجو خطاب الحوار بين الأديان والحضارات، لنقل أنه خطاب نقدي يروم

التنبيه إلى ضرورة تفكيك ثنائية الديني والثقافي قبل الحديث عن صدام الحضارات أو حوار الأديان، وما جاور هذه الشعارات والمشاريع.

بخصوص تعقد الخريطة الدينية في عالم العولمة. منذ الأزل في الواقع. يَخلصُ المؤلف إلى أن اللامساواة بين الأديان حيال العولمة تُفسر برحابة الخيارات المتخذة في عمله هذا، على اعتبار أن الأمر لا يتعلق بمبحث عام في العلاقات بين الدين والثقافة، ولعل هذا يفترض إحاطة شاملة مستحيلة وتَبحرا يُقر بعدم امتلاكه رغم رصانة مبحثه، وإنما المراد هنا، انطلاقا من عدد معين من الحالات، النظر في العلاقات بين الدين والثقافة كيف تتركب مجددا اليوم، وما الذي يعنيه ذلك فيما خص فهمنا للظاهرة الدينية. ولا ريب في أن ذلك يناسب في المقام الأول «الأديان الكبرى» . أي الديانات التوحيدية الثلاث. تلك التي عرفت عبر التاريخ سيرورات توسع عن طريق الفتوحات أو الاعتناق، وظواهر انتقال في ثقافات مختلفة، وإزالة للصفة الإقليمية والتفرغ إلى ثقافة دنيوية (مسيحية، إسلام، بوذية، هندوسية، يهودية)، ويمكن إضافة حالات تاريخية، أقلها إن لم نقل أبرزها اليوم، ظهور حالات طريفة وصادمة في الواقع لمعبودات ومعتقدات جديدة، من المطربة الأمريكية مادونا إلى بطل الروايات البريطاني هاري بوتر مرورا بعيد جميع القديسيين وشيفرة دافتشي للروائي دان بوران، لا من حيث كونها أديانا جديدة، ولكنها تجعل من المعتقدات الوثنية الجديدة خلفية الثقافة المعاصرة، مُقللة بذلك شأن الأديان الكبرى التي تغذو مسوخا بسيطة للمعتقدات الجديدة، ولقد فوجئت الكنيسة الكاثوليكية بالنجاح الذي حققته «شفيرة دافتشي» لا لأن الرواية تُدمر من الداخل اللاهوت المسيحي فحسب، بل لأنها تجعل من الكنيسة الكاثولكية بدعة، ومكيدة.

نأتي لخلاصات هذا العمل القيم، والذي نحسبه أحد المراجع العلمية في موضوع التحولات الدينية، ونكتفي ببعض الإشارات الدالة من باب حسن خاتمة العمل؛ نقرأ لأوليفيه روى الإشارات التالية، تيمنا بإشارات ابن سينا، في مجالنا التداولي الإسلامي، فيما مضى من زمن الرقي والتحضر والعلم والإبداع الذي ينفع

الناس:

1 . يستعيد الديني خلسة الخطاب متعدد الثقافة مُتموضعا كأقلية ثقافية عن طريق المعيار الديني المفصول عن كل سياق: يمتزج الديني والثقافي مجددا ولكن الديني هو الذي يُقدم المعيار الثقافي؛

2 . استحواذ مجموعة محلية على الدين مجددا قد يأخذ شكل الأرثوذكسية المتطرفة من قبيل الأصولية، أي إنكار الاختلاف الثقافي نفسه ؛

3 . أسست العولمة سوقا عالميا للديني، فيدور الكلام إذا على «مستهلكين» أي أناس لديهم طلب تتعين تلبيته بصدد الحاجات الروحية ويجدون أمامهم تشكيلة من المنتجات متنوعة وسهلة المنال، حيثما وجدت في العالم، أو يكاد: السوق لم يعد مُقيدا؛

4 . كان من أثر الانفصال بين المعالم الدينية والمعالم الثقافية أن أتاح بوجه خاص إمكان استهلاك منتج ديني من دون حاجة إلى معرفة الثقافة التي أنتجته؛

5 . نشأ في العالم الإسلامي تاريخيا فضاء ثقافي مستقل ذاتيا، لكنه كان بانتظام عرضة لسهام أصولية متلفة للآثار الفنية، ومعادية للثقافة، من الموحدين إلى طالبان مرورا بالوهابيين «السلفية الوهابية»، أو حركات توفيقية ترتاب، بحق وفقا لوجهة نظرها، في فكرة الثقافة نفسها؛

6 . فقدان الهوية الثقافية هو فقدان البداهة الاجتماعية للدين، ومن الآن فصاعدا يعيش المؤمنون فيما بينهم كأقليات محاطين بثقافة دنيوية، ملحدة، إباحية، مادية، اختارت آلهة مُزيفة: المال، الجنس، أو الإنسان نفسه.

7 . التنازل عن قيم الثقافة يعني التنازل عن الإيمان والهوية الدينية، وبالعكس، ولكن الثقافة الدنيوية في العالم العربي هي في الوقت عينه فارغة وتزداد فراغا، وتختفي تحت الضغط المزدوج للسلفية من جهة، وللتغريب من جهة ثانية.

كتاب ننصحُ به، في سياق الاجتهاد الجماعي، المحلي والإقليمي والكوني لتفكيك خطاب مجموعة من المشاريع المجتمعية التي تنهل من مرجعية دينية أو طائفية، هنا أو هناك، ومن سخرية الأقدار الإلهية، أن تُجسّد العديد من مضامين التي يحفل بها هذا العمل الرصين، الصادر قبل اندلاع أحداث «الربيع العربي»، مفاتيح مفاهيمية نوعية تساعد المتتبع على قراءة بعض أسباب ما نُعاينه اليوم في المنطقة العربية من فوضى وفتنة لا يبعثان على الاطمئنان، على الأقل عند أهل النظر والتفكر والبحث.. ومن يدري، قد تساعد نفس المضامين . وعلى غرار ما نعاينه في أعمال العقول الكبيرة . المتلقي غير المتخصص على إعادة قراءة أحداث الساعة بأعين مغايرة تماما.

نون بوست
كيف دخلت الإسلاموفوبيا مرحلة جديدة؟
2023/1/3

آلان غابون

ملخّص

من المسلّم به أن الإسلاموفوبيا أصبحت موقفًا أيديولوجيًا رئيسيًا يشكل السياسات المحلية والدولية للدول الغربية وغيرها من الدول بشكل متزايد، فضلاً عن التصوّرات الشائعة حول المسلمين والإسلام. والأدلة على ذلك موجودة في وسائل الإعلام المختلفة والبيانات الرسمية والمستقلة للمنظمات غير الحكومية والشهادات الفردية والبحوث الأكاديمية الوفيرة على مدى العقود الثلاثة الماضية.

للإسلاموفوبيا الغربية، على وجه الخصوص، جذور تاريخية عميقة للغاية تعود على الأقل إلى الحروب الصليبية والغزو الاستعماري وحكم الشعوب ذات الأغلبية المسلمة.

وهذا الإرث الواسع لكلتا الفترتين الممتدّ لقرون لا يزال حاضرًا في ثقافات ومجتمعات اليوم. لكن الخوف من المسلمين وعدم الثقة تطور خلال العقود القليلة الماضية إلى استياء وكراهية عميقة للإسلام. وقد تعزز هذا العداء إلى حد كبير بعد هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر وما تلاها من تضييق أمني على المسلمين في كل من الغرب وفي أجزاء أخرى من العالم.

كان تأثير «الحرب العالمية على الإرهاب» بعيد المدى بوجود سياسات «مكافحة التطرف» و«مكافحة التعصب» المحلية التي انتشرت في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة. وبعد أكثر من عقدين، أصبحت نظريات «صراع الحضارات» و«الاستبدال العظيم» و«تعريب أوروبا» سائدةً.

مرحلة جديدة من الإسلاموفوبيا

بعد تجاوز سياسات التمييز، وصلت بعض البلدان الآن إلى نقطة الاضطهاد الصريح للمسلمين بما في ذلك مواطنيها «الأصليين». وهذه الطفرة في الإسلاموفوبيا طالت كل بلد غربي، وحتى الدول الأكثر انفتاحًا وتسامحًا وتعددًا للثقافات والديمقراطية والليبرالية لم تسلم منها.

في الآونة الأخيرة، دخلت الإسلاموفوبيا مرحلة جديدة تتميز بعملية ثلاثية: التقارب والتبلور (تتجمع الآن الحكومات والأحزاب والحركات والقوى المختلفة المناهضة للإسلام التي كانت معزولة في الماضي)؛ والتوسع الأفقي/الجغرافي؛ والتكثيف/الاختراق الرأسي، الذي يؤثر على المزيد من مجالات الحياة حتى الأكثر حميمية منها مثل (العائلة، والخيارات التعليمية للوالدين، وحرية المعتقد والوعي، وما إلى ذلك).

نحن نشهد الآن ما يمكن أن يُسمّى عصر الإسلاموفوبيا العلمية، التي تتميز بزيادة كبيرة في الأساليب والتقنيات الإبداعية والفعالة (القديمة والجديدة) والأدوات (بما في ذلك الأدوات القانونية) والاستراتيجيات المعادية للمسلمين والإسلام. وعلى غرار استراتيجيات القوة المنطقية لفوكو، نسجت هذه الخطوط المتعددة للاحتواء والاختراق شبكة لا مفر منها تقريبا لأغلب المسلمين.

من بين الأمثلة على ذلك السياسات المشتركة لفرنسا ومصر ودول الخليج بشأن «الإسلاموية» وتجريم جماعة الإخوان المسلمين. وهذه الرواية مستنسخة في بلدان مختلفة وتُستخدم لتقويض عملية الديمقراطية وغيرها من أسس تلك المجتمعات.

المؤامرة المرضية حول الحياة الإسلامية الطبيعية: تكون الظواهر الطبيعية مستهدفة في هذه الحالة، بما في ذلك افتتاح مسجد ومكتبة إسلامية ومحل بيع لحوم حلال

من المهم تحديد وتسمية تلك الاستراتيجيات لفهم هذه الظاهرة. ونظرا لكثرتها، ارتأينا تقديم أفضل 10 استراتيجيات مألوفة للترويج للإسلاموفوبيا:

المسلمون «تحدي»، والإسلام «مشكلة»: تتمثل إحدى الاستراتيجيات الرئيسية المعادية للإسلام في تشكيل «بعبع الإسلام» الخيالي والجوهري، الذي يُصوّر من خلاله الإعلام والسياسيون والمثقفون العامون البارزون وحتى كبار الفنانين (بما في ذلك العديد منهم في العالم العربي ذي الأغلبية المسلمة) الإسلام والمسلمين كمشكلة أو تهديد وجودي أو في أحسن الأحوال «تحدٍ» («للجمهورية» و«الديمقراطية» و«الحضارة الغربية» وما إلى ذلك).

إن إشكالية وجود الإسلام والمسلمين في البلدان الغربية وغيرها تخلق جوًا دائمًا من الخوف وعدم الثقة في هذا الدين ومعتنقيه، ويستمر ذلك من خلال العمل الدؤوب على إثارة الجدل واختلاق «تهديدات» كاذبة أو مصطنعة أو مبالغ فيها بشكل كبير، مثل «الإسلاموية»، وتصنيع حلقات من الذعر الأخلاقي والهستيريا تكون في كثير من الأحيان حول الزي الإسلامي للنساء.

المؤامرة المرضية حول الحياة الإسلامية الطبيعية: تكون الظواهر الطبيعية مستهدفة في هذه الحالة، بما في ذلك التحولات الديمغرافية الطبيعية للمجتمعات الغربية بسبب التركيبة السكانية والهجرة - تغير المساحة الحضرية وبعض الأحياء وظهور الملابس الإسلامية في الشوارع، وبناء مسجد بجوار كنيسة كاثوليكية.. - وتُصور في شكل مؤامرة مثيرة للريبة حول «أسلمة أوروبا»، باعتبارها «استفزازات» أو علامات على الجهاد الخفي، ليُقدم ذلك على أنه دليل قاطع على مشروع غزو أيديولوجي عالمي لاستبدال أوروبا بخلافة إسلامية واسعة.

وعلى هذا النحو، تصبح التغييرات الثقافية العادية وغير الضارة، مثل افتتاح مسجد ومكتبة إسلامية ومحل بيع لحوم حلال في نفس الحي، دليلاً على غزو مخطط له من خلال بناء «أنظمة بيئية إسلامية». وتعد كل ممارسة إسلامية روتينية مهما كانت بسيطة دليلًا آخرًا على استيلاء عدائي مخطط له ومنسق من الخارج من قبل المشتبه بهم المعتادين، وهم: المملكة العربية السعودية أو تركيا أو قطر.

تأديب المسلمين

التضييق الأمني على الإسلام والمسلمين: في حين أن «تآمر السكان المسلمين» لا يعدو أن يكون سوى تصور زائف، فإن هذه الرواية الخيالية للإسلام لها عواقب سياسية خطيرة، فيما أسمته جوسلين سيزاري التضييق الأمني على المسلمين – الذي يتمثل في اتخاذ تدابير سياسية استثنائية من النوع القمعي مثل زيادة الوجود العسكري والضوابط الأمنية، والمراقبة المنهجية للمساجد، وما إلى ذلك – الذي يأتي من اعتبار الإسلام تهديدًا مما يدفع الحكومات اليسارية واليمينية والوسطية لمعاملة هذا الدين ومن يعتنقونه على أنهم في المقام الأول «مصدر للخطر»، وأنهم من السكان الذين يحتاجون إلى المراقبة والتأديب.

الحالة الاستثنائية: إن الاستثناء الذي يُجرّد المسلمين من حقوقهم الأساسية بذريعة الأمن القومي تسلل إلى كل مجال من مجالات الحياة ويؤثر على المجتمعات الأخرى أيضًا، بينما يؤثر بشكل كبير ويشكل السياسة العامة والثقافة والحياة الأكاديمية والفكرية.

تسليح مبادئ الديمقراطية: للتستر على هذا المشروع المعادي للإسلام، غالبًا ما تنتشر المغالطات والأكاذيب الصارخة حول طبيعة الأنظمة السياسية الغربية والمجتمعات التي تمارس التمييز بشكل روتيني ضد المسلمين.

تعتبر فرنسا مثالا صارخًا لبلد ومجتمع غالبًا ما يتم تقديمه على أنه «علماني» – عندما يتعلق الأمر بمناقشة الإسلام. لكن هذا الادعاء مضلل هذا إن لم يكن كاذبًا. ومع أن فرنسا دولة علمانية، إلا أنها ليست علمانية على الإطلاق وهنا يكمن الفرق. وهذا يعني أن الحياد الديني وقاعدة السلطة التقديرية لا تنطبق سوى على الدولة وممثليها الرسميين والموظفين الحكوميين وموظفي الخدمة المدنية مثل معلمي المدارس العامة ومديريها، والقضاة، والمسؤولين المنتخبين وغيرهم.

لكن إلى حين صدور قانون 15 آذار/ مارس 2004 الذي يحظر ارتداء العلامات والرموز والأزياء الدينية في المدارس العامة، لم يكن القصد من العلمانية الفرنسية

في جانبها الحيادي الديني استهداف أفراد المجتمع لأن ذلك فيه انتهاك لحريتهم الدينية المكفولة دستوريًا. وفرض هذا الحظر على تلاميذ المدارس والآن أوليائهم، فيه تزييف خطير وانتهاك فعلي للعلمانية الفرنسية، بما في ذلك قانونها التأسيسي لسنة 1905 المتعلق بالفصل بين الدين (الكنائس) والدولة.

بذلك يصبح ما كان في الأصل قانونا ليبراليا عميقا ومتكافئا وتحرّريا هدفه الحفاظ على الحريات الرئيسية، بما في ذلك حرية المعتقد للجميع، فاسدًا ومزيفًا بحيث لا يمكن التعرّف عليه في صورة علمانية غير ليبرالية وزائفة. كما تحول إلى ما ليس كذلك - أي إلى سلاح معادٍ للإسلام - من قبل أولئك الذين يزعمون أنهم يدعمونه، ويمكن استخدامه بعد ذلك ضد المسلمين.

التقسيم والمعاقبة

ثنائية «المسلم الصالح والمسلم السيئ»: على غرار خطاب مالكولم إكس الشهير لسنة 1963، تختار استراتيجية «فرّق تسد» الكلاسيكية والفعالة التي يمكن ملاحظتها بسهولة في وسائل الإعلام والسياسة، بعض المسلمين لطاعتهم السياسية أو خضوعهم للحكومات وتصفهم بأنهم «معتدلون» وشرعيون، ثم تضعهم في الواجهة في الأوقات الحرجة.

يقوم السياسيون ووسائط الإعلام بالترويج للنموذج الأول والاحتفاء به وعرضه في كل مكان كنموذج يحتذى به في «الاندماج» ليحاكيه بقية المسلمين؛ ويُكافؤون بسخاء على هدوئهم السياسي أو عدم نشاطهم أو دعمهم لأنشطة الحكومات (التعيينات في اللجان الحكومية والرسمية، وما إلى ذلك)، في حين يتم تشويه سمعة الفئة الثانية من المسلمين علنا ووصفها بأنها «راديكالية» و«متطرفة» و«أصولية» و«إسلامية» ويحظر نشاط منظماتها بذرائع وهمية، ويتعرض قادتها للاضطهاد. وفي هذا السياق، يمكن الإشارة إلى حالة طارق رمضان الرمزية.

والجدير بالذكر أن ممارسة سياسة التقسيم والتأديب والعقاب ملحوظة حتى خارج الدول الغربية، بما في ذلك البلدان ذات الأغلبية المسلمة مثل المغرب أو

المملكة العربية السعودية أو مصر أو باكستان وكذلك داخل الأقليات المسلمة الغربية.

ازدواجية المعايير الغربية: تتعدد أمثلة الدول التي أخضعت الإسلام لمعيار منفصل. ففي إحدى الحالات، أطلق الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ووزير داخليته جيرالد دارمانين في سنة 2021 ميثاقهما المتعلق بمبادئ الإسلام الفرنسي، الذي لا يهدف إلى تنظيم وتحديد هيكل تمثيل المسلمين في فرنسا والعمل الداخلي للمساجد فقط، بل حتى العقيدة الإسلامية واللاهوت نفسه. وعندما حاولوا إجبار القادة المسلمين والمنظمات الإسلامية والمساجد على التوقيع على هذه الوثيقة، هددوا علانية بقمع الدولة لأي شخص يرفض ذلك.

لم يتعرض سوى الإسلام لمثل هذه المعاملة لأنه يُنظر إليه على أنه تهديد يجب السيطرة عليه وتأمينه بما في ذلك من خلال «إصلاح» المسلمين - على عكس الكاثوليكية أو اليهودية. ولم يُطلب من أي طوائف دينية أخرى إعادة تثقيف أو تأويل عقيدتها أو توقيع مثل هذه «المواثيق»، وإنما خصّت فقط المسلمين.

تقنين الإسلاموفوبيا: يتم تقنين الأفكار المُسبقة والصور النمطية المعادية للإسلام بشكل متزايد وترسيخها في قوانين قمعية. ويعمل كل من القانون الفرنسي لسنة 2004 ضد الجماعات الدينية (اقرأ: الإسلامية) في المدارس العامة أو مشروع قانون «الانفصالية المعادية للإسلام»، أو قانون تعزيز مبادئ الجمهورية مرة أخرى كنماذج أولية ومنهج لدول أخرى مثل كندا أو سويسرا أو بلجيكا.

وهذه المقالات المحددة التي تستهدف الجمعيات والمدارس الخاصة والتعليم المنزلي بغية جعل هذه الخيارات إما صعبة للغاية أو مستحيلة، تستند إلى الصور النمطية الخاطئة للعائلات المسلمة «الراديكالية» التي تغسل أدمغة أطفالها بالتطرف الشرعي أو للنوادي الرياضية التي أصبحت مرتعًا للتطرف الإسلامي.

كاتش 22: تتمثل الإستراتيجية الأكثر خبثًا لإقصاء المسلمين - ستكون خاسرا سواء قمت بذلك أم لا - في تقديم التزام مزدوج متناقض وغير قابل للحل. فمن ناحية، يُمنعون من الانخراط في النشاط السياسي أو حتى المدني الذي يصنفهم

تلقائيا على أنهم «إسلاميون» وينعتهم بـ «الإسلاميين السياسيين». ومن ناحية أخرى، يتم استدعاؤهم بإنتظام «لجعل أصواتهم مسموعة» علنًا، أو التحدث «بصوت أعلى»، أو التظاهر، كمسلمين، على سبيل المثال، ضد الجهاديين، عندما يتم ارتكاب هجوم إرهابي، أو معارضة المسلمين الآخرين «السيئين»علنا.

قوة صلبة

إذا لم ينجح أي مما سبق، فقد أثبتت الحكومات استعدادها لاستخدام أشكال أقسى من الرقابة والتأديب والعقاب.

الذنب بالارتباط والعقاب الجماعي: يُنسب أي هجوم «جهادي» فردي اُرتكب في مكان ما - وفي أي مكان - إلى «الإسلام» ويتحمل جميع المسلمين المسؤولية ويُدعون إلى إدانة الفاعل علنًا. في المقابل، لا يوجه مثل هذا اللوم الجماعي إلى المجتمعات الدينية أو الأديان الأخرى أو حتى على أنواع أخرى من الإرهاب.

بالنظر إلى هذا المنطق، من غير المستغرب مثلا إغلاق مسجد يتردد عليه 1500 مسلم من خلال مجرد مرسوم تنفيذي على أساس أن مهاجمًا، لا علاقة له بالمسجد، قد شاهد مقطع فيديو على فيسبوك نشره أحد الأعضاء في ذلك المسجد، الذي من المفترض أنه «حرّضه» على ارتكاب الاعتداء.

تكتسي هذه الإدارة الاستعمارية الجديدة للإسلام والمسلمين طابعًا عالميًا بشكل متزايد. وفي حين يمكن لواحدة من هذه الاستراتيجيات أن تكون ضارة بالمسلمين، يمكن لعشرة منها أن تدمر مجتمعًا بأكمله.

معهد واشنطن لسياسات الشرق الأوسط

نضال البنات الإيرانيات من أجل الحصول على الحقوق التي فقدتها أمهاتهن في الثورة

2023/1/13

سبيده زماني

ملخّص:

لقد تعلم الناشطون المدافعون عن حقوق المرأة في إيران اليوم من أخطاء أسلافهم، كما أنهم مصممون أكثر من أي وقت مضى على تحقيق المساواة بين الجنسين.

حظيت الانتفاضات المطالِبة بحقوق المرأة في إيران باعتراف دولي منذ وفاة مهسا جينا أميني، التي قُتلت بعدما اعتقلتها «الشرطة الشرعية» الإيرانية في 16 أيلول/سبتمبر 2022. وبعد مرور أشهر، طالبت أغلبية صاعقة من أعضاء البرلمان الإيراني السلطة القضائية بإصدار حُكم إعدام بحق المعتقلين في الاحتجاجات المطالِبة بحقوق المرأة. ومن الواضح أن هذه المناورة الإكراهية تهدف إلى وضع حد لتلك الحركة الراسخة. وبصفتي شاهدة على مثابرة نساء بلادي، لا يسعني سوى التفكير في النساء اللواتي شاركن في الثورة الإسلامية في عام 1979 والتي أدت إلى فقدان حقوقهن. كيف تمكنّ من دعم حكومة ستُجرّدهن من الحريات التي يكافحن اليوم في سبيلها؟ وكيف تؤثّر أفعالهن في النساء اللواتي يناضلن حاليًا في الشارع؟

يعود تاريخ حركة المرأة الإيرانية إلى سلالة القاجار في القرن الثامن عشر، حين تم ترويج قضايا النسوية باسم التقدم. لكن لم تُتَح للمرأة فرصة التفوق إلا بحلول حقبة بهلوي (1925-1979)، فأصبحت مثقفة وتتقاضى أجورًا عالية، حتى أنها لعبت دورًا في البرلمان. ومُنحت المرأة مساعدات مالية لتلقي التعليم العالي، كما

حصلت على الحق في التصويت. وبفضل «قانون حماية الأسرة» (1967)، اكتسبت المرأة أدوات قانونية من أجل التحكم بحياتها الشخصية، بعد إجراء تعديلات لصالحها في قوانين زواج الأطفال والطلاق والحضانة. ويتضح التأثير الذي أحدثته حقبة بهلوي بفضل إنجازات المرأة، على الرغم من الانتقادات التي تعرضت له.

في عام 1979، حدثت الاضطرابات الاجتماعية في المقام الأول ردًا على النزعة الغربية والخوف من الرأسمالية، إذ شعر الكثيرون أن هذا التوجه يتسبب بتفاوت اقتصادي ويهدد الثقافة التقليدية. غير أن الثقافة الإيرانية التقليدية تضم مجموعة واسعة من العادات والأديان ولا تقتصر على الثقافة الإسلامية المحددة التي ستهيمن على إيران في عهد الجمهورية الإسلامية وآية الله الخميني. وفي ظل حالة الحماسة التي سادت في بداية الثورة، انضمت مثقفات كثيرات في إيران إلى الثورة الإسلامية تأييدًا للديمقراطية التي وعد بها الخميني في البداية.

شملت هؤلاء النساء نوشابه أميري، المحررة السياسية السابقة لصحيفة «كيهان» والمرأة الوحيدة التي أجرت مقابلة مع آية الله الخميني. وفي خلال هذه المقابلة، واجهته بشأن دور النسوية في هذه الثورة قائلةً: «يقول البعض إن الثورة الإسلامية هي حركة رجعية، لكن قبولي يُظهر أن الثورة الإسلامية هي حركة تقدمية.» فأجاب الخميني: «لم نطلب منكِ الحضور. فالإسلام لا يحتاج إلى أن يكون تقدميًا. والتقدم ليس كما تعتقدينه.» ونشرت أميري المقابلة في النهاية تحت عنوان: « لا ديكتاتورية في الحكومة الإسلامية» ووضعت ثقتها بالخميني. ففي ظل الوعد بالديمقراطية، هل تجاهلت علامات التحذير؟ وفي آذار/مارس 2021، أخبرت أميري موقع «إيران وایر» (IranWire) عند التفكير في تلك المحادثة بما يلي: «للمرة الأولى في حياتي المهنية، تعرفُت إلى مفهوم الخوف واختبرتُ الموقف الذي يخبرك فيه الشخص الذي تُحاوره ما عليك كتابته.»

في 7 آذار/مارس 1979، أعلن آية الله الخميني عن قواعد إلزامية للّباس الإسلامي، فقدت بموجبها المرأة معظم حقوقها. وأُعيد سلب بعض الحقوق من قانون الأسرة، وأُنشئت الشرطة الشرعية التي فقدت سمعتها حاليًا من أجل فرض التنفيذ. وما

زالت السلطات حتى اليوم تعتقل آلاف النساء بسبب ملابسهن وتتراوح العقوبة بين السجن أو الجلد أو دفع غرامة. كما تتعرض النساء للصفع والضرب ويتم جرّهن إلى سيارات الشرطة، علنًا، وقد تُستخدم أحيانًا عصا طويلة لها حبل مربوط كحبل المشنقة عند الطرف تُستعمل للتحكم بالحيوانات.

في اليوم التالي لإعلان الخميني عن قواعد اللباس، خرجت عشرات الآلاف من النساء في إيران إلى شوارع طهران للاحتجاج. ولكن في 9 آذار/مارس، نشرت الروائية والشاعرة والناشطة الشهيرة في الحركة النسوية سيمين دانشوار مقالًا مؤيدًا في صحيفة «كيهان»، قالت فيه: «إذا كان ثمن النصر في الثورة هو تغطية رأسي، فسأفعل ذلك بكل فخر.» هل اعتقدت أن ارتداء الحجاب هو الثمن الوحيد؟

لم تتغاضَ أميري ودانشوار وحدهما عن الخسارة المحتملة لحقوق المرأة في خلال الأيام الأولى من الثورة. واعترفت شيرين عبادي، المحامية والقاضية السابقة ومؤسِسة مركز لحقوق الإنسان في عام 2001، بخطئها، ونشرت اعتذارها عبر وسائل الإعلام. وهربت الناشطة النسوية والناقدة الاجتماعية نادرة أفشاري من مخيم الماركسيين الإسلاميين («مجاهدي خلق») الذي كانت قد انضمت إليه طوعًا، للإبلاغ لاحقًا عن إساءة معاملة النساء والأطفال في هذه المخيمات. وتكثر الأمثلة عن النساء الأخريات.

اللافت في الأمر هو أن خطابات المتطرفين قبل عام 1979 أظهرت علامات تحذير. ففي أحدها، أدان آية الله الخميني صراحةً بهلوي بسبب منحه المرأة حقوقها في الثورة البيضاء، معتبرًا أن ذلك قد يكلّفه عرشه. ولكن قالت هاله اسفندياري، وهي سياسية إيرانية وباحثة في قضايا المرأة: «وسط جلبة الثورة، لم يُعِر أحدٌ اهتمامًا كبيرًا لما كان آية الله الخميني يقوله في باريس. فقد قال إن المرأة ستؤدي دورًا في المجتمع، ولكن ضمن إطار إسلامي. ولم يكلّف أحدٌ نفسه في تلك الأيام عناء التساؤل عما قصدَ بالإطار الإسلامي.»

هل كانت مدة نصف قرن من التقدم في عهد بهلوي طويلة بما يكفي حتى تفترض المرأة أن حقوقها لا تتزعزع؟ فقد كانت مثقفات كثيرات مثل اللواتي

ذُكرن أعلاه بأمان في نهاية المطاف، بفضل علاقات عائلاتهن وأموالها التي تخولهن الهروب من البلاد إذا لزم الأمر، وهذا ما فعلته الكثيرات. ويقول عددٌ كبيرٌ من النساء اليوم إنهن كن ساذجات في تصديق وعود الخميني، ولكن يقلن ذلك من أماكن آمنة في بلدان الاغتراب، بينما تستمر النساء داخل إيران في المعاناة من العواقب.

لم تكن الدوافع بأي حالٍ من الأحوال متجانسة، على الرغم من انتشار المُثُل الشيوعية السرية، التي تُعرَّف على أنها مناهضة للرأسمالية (ومناهضة لبهلوي). فقد شاركت بعض النساء لأنهن كن في الواقع يعارضن المساواة بين الجنسين، وأحيانًا من حيث المبدأ، وأحيانًا أخرى للتضامن مع أزواجهن. وبشكل عام، ألقت الرغبة في التغيير في عام 1979 بظلالها على التقدم الذي أحرزته المرأة في خلال السنوات الخمسين التي سبقت الثورة، وتَبيّنَ بالتالي أن حريات المرأة اتسمت بهشاشة كبيرة لم يتصورها أحد.

في حين أن الجيل اللاحق من النساء فقدَ إمكانية اختبار ما كان سائدًا في السنوات الخمسين السابقة، وخضع مستسلمًا للقيود التي فرضها الخميني، لم تَحِن بَعد نهاية القصة كما نرى اليوم.

حتى قبل هذه الحركة الاحتجاجية الأخيرة، اتضح أن ما حققته النساء في حقبة بهلوي كان تقدميًا للغاية وتم اعتناقه على نطاق واسع في خلال تلك الفترة، لدرجة أن الحرية والفرص التي تمتعت بها النساء في ذلك الوقت أثبتت أنه يستحيل محوها من أذهان أمهات نساء اليوم وآبائهن. وبالتالي، تعرف النساء الإيرانيات ما هي الحرية، ولو من خلال الذاكرة وليس عمليًا، وهذا ما تعكسه مواقفهن اليوم. ويساعد الآن الاتصال بالعالم الحر عبر الإنترنت في تعزيز فهمهن لما عاشته النساء قبل عام 1979. وظلت ذكريات الحرية والثقافة التي نشأت في حقبة بهلوي حية أيضًا في ألبومات الصور والقصص العائلية. وقد منح هذا الإرث الكثير من الإيرانيات ثقة الشعور بالتوق إلى ما خسره أسلافهن. وانطلاقًا من هذا الأساس، يمكن تجديد تلك الثقافة القديمة والقوية.

إذا استمعنا إلى الجيل الشاب من الناشطات في الحركة النسوية، يبدو أن معظمهن يلتزم الصمت في ما يتعلق بالأخطاء التي ارتكبتها النساء في خلال الثورة، لكن لا بد من التفكير في التضامن، وما من وقت يمكن إضاعته للتأسف أو إلقاء اللوم على أحد. وعلى الرغم من النظام الإسلامي، لم تتوقف نساء القرن الحادي والعشرين يومًا عن النضال في سبيل تحقيق حريتهن والمساواة بين الجنسين، وعن الكفاح ضد الحجاب الذي كان يشكل رمزًا لثورة الخميني وأصبح بالنسبة إلى الكثيرين رمزًا واضحًا للقمع. ففي 27 كانون الأول/ ديسمبر 2017، عندما اجتاحت الاحتجاجات إيران، وفي «شارع الثورة» في طهران، وقفت الناشطة في مجال حقوق المرأة فيدا موحد على صندوق توزيع كهربائي، وخلعت رمزيًا حجابها الأبيض، ثم ربطته بعصًا ولوّحت به أمام الحشود من أجل الاحتجاج على الحجاب الإلزامي. وكانت هذه هي المرة الأولى بعد ثورة عام 1979 التي تخلع فيها امرأة إيرانية حجابها أمام عامة الناس، فتم القبض عليها بسبب هذا الفعل. وأطلق عرضها الجريء حركة دُعيت «فتيات شارع الثورة»، فاحتجت عدة فتيات منذ ذلك الحين منتهكاتٍ القانون بشجاعة عبر تكرار تصرفها في كافة أنحاء إيران. وليست حملة فيدا موحد سوى واحدة من مئات الأعمال التمردية الصغيرة التي كانت تقوم بها الإيرانيات منذ أن فقدن حقوقهن. فبلغت كل هذه المظاهرات ذروتها في الانفجار الذي نشهده اليوم.

الآن، وبعد مرور أشهرٍ على وفاة مهسا جينا أميني، فقدَ عدد أكبر من الإيرانيين أرواحهم في الكفاح من أجل تحقيق المساواة بين الجنسين والحرية في إيران. كما ألقي القبض على الآلاف ولقى كثيرون حتفهم بسبب التعذيب، فيما أُعدِم البعض وينتظر الكثيرون تنفيذ حُكم الإعدام. ومع ذلك، بدأ للتو النضال من أجل استعادة حريات المرأة. ويكافح الإيرانيون بقوة أكبر من أي وقت مضى لاستعادة حقوقهم. فقد تعلّموا عدم تكرار أخطاء أسلافهم في الحركة النسوية، وعدم مقايضة حقوق المرأة بأي وعد آخر. وعساهم يمضون قدمًا في مسيرتهم.

على الطريق

دين بلا إيمان
2023/1/6

يتساوى في الموقف من الحجاب، موقف إيران الذي يفرضه وموقف بعض الأوروبيين الذي يمنعونه. لباس الفرد يتعلّق بالحرية الفردية، والمسألة اختيارية، ويجب أن تبقى كذلك.

الحجاب هو جزء من آداب السلوك التي يختارها الفرد. يسير العالم نحو الإباحة. كثير من الأمور التي يفعلونها بخصوص التعري لا يألفها ذوقنا، وربما تغيّر الأمر في مجتمعاتنا بعد سنوات أو أجيال. لكن الحجاب مسألة تتعلّق بما أشاحت عنه مجتمعاتنا في الماضي، ولم يكن عيباً أو يُعتبر منكراً. المسألة في هذا الأمر تتعلّق بالسيطرة السياسية، كما يبدو واضحاً مما يجري في إيران. أما في أفغانستان فالأمر أشد هولاً. إذ يعتبر أهل النظام أن المرأة لا تصلح إلا للحمل والولادة والخدمة المنزلية. في كل المجتمعات الإسلامية نظرة دونية للمرأة. كان تطوّر وضع المرأة لصالحها قبل ما سمي بالصحوة الإسلامية في الربع الأخير من القرن العشرين، وهو عكس ذلك الآن. لم يكن التطوّر بطيئاً نحو الأمام بل تراجع سريعاً الى الوراء. وكي لا نكون كمن يدفن رأسه في الرمل كي لا يرى ما يحدث، علينا الاعتراف أن مجتمعاتنا الإسلامية لا تتقدم في العقود الأخيرة، بل تتأخر.. والتأخر لا يصيب ناحية من نشاط المجتمع أو جزءاً منه بل هو تأخر يصيب عموم مجتمعاتنا، وإن كانت هناك استثناءات.

الأرجح أن التديّن في مجتمعاتنا لم يكن أقل مما هو الآن. ربما كان العكس هو الصحيح. المهم أن وكلاء الله على الأرض، بالأحرى من يعتبرون أنفسهم كذلك، وجماعات الإسلام السياسي، ربطوا أنفسهم بأنظمة الاستبداد. واستخدموا بكل انتهازية المزاج الديني العام الناتج عن النكسات المتتالية سياسياً

وعسكرياً واقتصادياً، والتي أدت الى نكسة في المزاج الديني. هؤلاء استخدموا هذا المزاج الديني المتراجع في خدمة الثورة المضادة وأنظمة الاستبداد. منذ الثورة العربية عام 2011، كانت مواقف جماعات الدين السياسي المنظّم ضد خيارات الناس وضد الحريات الفردية، والى جانب ظلامية تُسيء الى الوعي بالتقدم. لم تكن داعش استثناءً بل كانت وما تزال أكثر تشدداً. هي ليست استثناءً يُثبت القاعدة. بل هي في صميم ما يُسمى الصحوة الإسلامية، وركناً من أركان الاستبداد. داعش وأخواتها تشبه كل جماعات الدين السياسي، مما كان منها في السلطة أو خارجها. في كل دين تعددية تسمح بالشيء ونقيضه. شيء ما أصاب ثقافة المجتمعات الإسلامية. تُستبعد النكسات السياسية والاستبدادية في الموضوع. هذا "الشيء ما" لا يجري التطرّق إليه في الأدبيات الشائعة وان استخدم بكل انتهازية. نهضة القرن التاسع لم تستطع الاستمرار. الاستبداد وتسييس الدين كانا حائلين ضد هذا الاستمرار. لكن هناك ما هو أعمق من ذلك. لم نجرؤ على القول أن في الدين الشائع عطب وبالتالي لم نسع الى مقاربته. ربما كان الاعتقاد الشائع هو أن التطوّر في الوعي الديني سوف يلحق تطوّر المجتمع، فعلى الذين يتصدون للإصلاح عدم المساس بهذه الناحية خوفاً من حساسيات تعيق الممارسة السياسية. وطُمِسَ البحث قي الوعي الديني، وجرى تحاشي التنقيب في الموضوع سوى في بحوث أكاديمية صدر معظمها في الغرب، ولدى الاستشراق القديم والجديد. وجاءت إدانة الاستشراق لتعمّق هذا الاتجاه في الوعي السائد، وخاصة لمن تلبسوا دعوة الثورة حتى الاجتماعية الشاملة. بالعكس، كثر حديث الكتبة والمثقفين عن التسامح الإسلامي، وأهملت الجوانب المناقضة. في نفس الوقت، طغت موجة القول إن في الدين، وخاصة القرآن، حلول لكل شيء. ما طرأ وما سوف يطرأ. ظهرت الصورة برّاقة. في حين أن البريق كان يخفي سخاماً كالنار تحت الرماد. نار تحرقنا الآن.

في الوقت الذي كان يتوجّب الخيار بين الحرية الفردية والضمير الفردي في مواجهة ذيول التحرر الوطني، وطغيان المجتمع على الفرد، أُخذ بتلابيب الخيار الثاني، وكانت الانتكاسة في الوعي الديني، بل هي انتكاسة المجتمع كله. كما

صار المجتمع بلا مواطنين، صار الدين بلا إيمان. الإيمان يكون فردياً، وما عدا ذلك من الأفعال والممارسات الجماعية لا تدخل في باب الإيمان، ولا تتلازم معه. كذلك الحرية لا تكون ألا فردية ونابعة من الضمير. والضمير لا يكون إلا فردياً؛ وما هو جماعي من مسميات التحرر الوطني وطقوس المهرجانات الجماعية، والمسيرات، وحتى التظاهرات، تأييداً للحاكم المستبد، يمكن أن تكون المشاركة فيها تزلفاً، ونفاقاً، وإظهارا للحاكم، وأتباعه من الرقباء وكتبة التقارير السرية، ما لا تبطنه الضمائر. الجماعة المتشكلة من أفراد مؤمنين (إيماناً فردياً) ليست مجرد قطيع، وهي مثل الجماعة المكونة من مواطنين يعتبر كل منهم نفسه صنواً للدولة، وشريكاً فيها، ومساهماً في قراراتها. حينها لا يكون المجتمع رعية تساق بل جماعة أحرار، تسوق من يتسيّد عليها. الدولة الحديثة تتشكّل من مواطنين لا من رعايا. والإصلاح الديني إذا حصل يرتكز على الإيمان الداخلي النابع من الضمير. وكل ما عدا ذلك يدخل في باب القطيع. وما كان صدفة أن جماعات الدين السياسي دعمت كل حكم استبدادي. الرعايا في الدين كالرعايا في سياسة السلطة. الحرية الفردية نقيضهما.

كل اصلاح ديني يتطلّب أن تكون ممارسة الطقوس طوعية، وألا تفرض المؤسسة الحاكمة تأدية أي منها، كما أنها لا تفرض أيا من أنواع السلوك الفردي بما في ذلك اللباس. الطوعية والفردية يتلازمان، كما القسر وفرض آداب السلوك؛ والجماعة تكون أكثر تماسكاً وتسامحاً فيما يتعلّق بما هو ظاهر. الدين قبل صعود ما سمي الصحوة الإسلامية كان طوعياً وفردياً، وأكثر تسامحاً. المجتمع الإسلامي بعد الاستقلال، ومع تجذر الاستبداد أصر على قمع الضمير والحرية الفردية، وتلازم ذلك مع الدين السياسي، الذي صار ديناً دون إيمان.

لبنان الجديد

الشيعية السياسية والطوائف النائمة

2023/1/12

علي سبيتي

حركة امل حزب الله

تحتل الشيعية السياسية المساحة السياسية اللبنانية وهي تتحكّم بمؤسسات الدولة وهي التي تحدّد السقوف السياسية الداخلية والخارجية وتمسك بالقرارات والخيارات وهذا ما دفع الخارج إلى التعاطي مع لبنان من بوابة الثنائي الشيعي . لا تكفي وحدها قوّة الثنائي الشيعي وفائض ما يمتلكه حزب الله من قوّة جعلته أقوى من الدولة ومن الطوائف للسيطرة التامة وغير الكاملة على البلاد والعباد فثمّة عناصر أخرى أرفدت الثنائي بما يتيح له التحكّم بمفاصل السياسة ومنها خنوع وخضوع الطوائف لمنطق القوة واكتفائها سكوتاً أو تنديداً موسمياً بحسب الحاجة الشعبية والانتخابية بسيطرة الثنائي وخاصة حزب الله. إن التركيبة الطائفية تمكّن أحزابها وتعطيها قوّة مقبولة للصمود والتصدي أمام أيّ هيمنة عليها سواء من نسيجها أو غريبة عنها لذا لا يمكن لطائفة مهما ملكت من قوّة أن تسيطر على طائفة أخرى إذ من المستحيل أن تُخضع الطائفة الشيعية الطائفة السنية وتلوي عنق الطائفة المارونية وباقي الطوائف دون أن تكون هناك قابلية ما لهذه السيطرة. إن الطبيعة الديمغرافية تعطي الأسباب الكافية لاستحالة سيطرة طائفة على طائفة ولكن وهن أيّ طائفة هو وهن داخلي وليس خارجي إن سقوط السنيّة السياسية تمّ بإرادة التيّار الحريري كما أن توهّن المارونية السياسية قد تمّ بإرادة الموارنة اللاهثين وراء رئاسة الجمهورية والوصول إليها يتمّ من خلال الثنائي الشيعي لذا يقدمون الطاعة بغية الوصول وتجربة العونية السياسية واضحة المثال. إن نشاط وحيوية الثنائي الشيعي في ظل شلل الطوائف الأخرى وانتظارها لمواقفهما جعلها أرخص من ضمّة الفجل

وما عادت ذات قيمة سواء بأعين الخارج أو الداخل وتشكل الخلافات الداخلية داخل كل طائفة السبب الرئيس لتوسع رقعة السيطرة الشيعية للثنائي وهذا ما زاد من تقدم طائفة وتأخر طوائف. إن تمكّن أحزاب الموارنة من الاجتماع السياسي سيلغي حكماً من جعل ورقة رئيس الجمهورية في يد الثنائي الشيعي كما أن تمكّن السُنّة من الالتفاف مجدداً سيحرر رئاسة الحكومة من قبضة الثنائي ولكن صعوبة هذا التمكّن جعل من الجميع لقمة سائغة وسهلة وما البكاء على أطلال الدولة إلاّ من الباب البكاء على مًلك هم باعوها بأثمان خلافاتهم الشخصية وبحثاً وراء مكاسب شوارعي فلا همّ أمام القوّات والكتائب والعونية وباقي الأحزاب المارونية سوى انتزاع السيطرة المسيحية لكسب الزعامة والحصة السياسية والوصول إلى كرسي الرئاسة وهذا ما جعلهم أشتاتاً ومزقاً لا كتلة صلبة وصلدة وهذا ما جعل أكثر المتزلفين للثنائي الشيعي هم من الموارنة بعد ان وجد كل ماروني مرّ على السياسة بأنّه مشروع رئيس لجمهورية جهنم.

لبنان الجديد

شيخ المشروع الإلهي

2023/1/15

علي سبيتي

بادر بعد سؤال شخصي إلى معاينة حالة الانتظار في سياق المشروع الإلهي ضمن سرد روائي وقرآني افتقد فيه لمنطق المصادر المعتمدة في تحليل وتعليل ظاهرة الانتظار لآخر أئمّة أهل البيت ولم يكتف بذلك بل إنّه أعاب على المؤمنين بانتظار الإمام المهدي انتظارهم خارج المشروع أي محاكاة الفهم الشيعي التقليدي بفورة حداثوية تعتمد فوض المفاهيم وتستند في ذلك إلى تبريرات وهمية غير مرتبطة أو متصلة بواقع ولا هي على علاقة بالسياق التاريخي المنقول. يفتقر الشيخ لحكمة الشيخ ربما صغر السن وعجل التزيّن بعمّة الرأس أو الجرعة السياسية الزائدة أوهمته بقراءة الأحداث وفق منطوق خاص متلبس بعقال العقل فأوغل في تربة الوجود البشري وفي جذره التاريخي التافه إذا ما ارتبط بمشروعية الانتظار الحركي داخل ساحة التمهيد من موقع القيادة التي منحها الله للمستضعفين عندما جعلهم أئمة. لا معنى للحياة بدون التفرّغ لمشروع الانتظار وتصبح أرخص من الرخص إذا ما اقترنت بصنعة الدور الوظيفي المحرك للوجود الشيعي في كونه الشمعة التي ستملأ عتمة الغرب من حيث إنطفائه اليومي بفعل الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ما أتفه الحياة لولا هذا المشروع وما أحقر الإنسان دون انتظار المنتظر في سياق هذا المشروع وهذا ما دفعه إلى العمّة بعد أن قرر الخروج من الحوزة لصعوبة الثقل والحمل ولكنه ارتضاها بعد بدا له أن الله اختاره إماماً من أئمة قيادة المشروع. طبعاً حتى نهاية الموعظة لم أفهم عن أيّ مشروع يتكلم لأنّه تحدث بلغة الواثق بأن من يستمع إليه يعلم تمام العلم عن أيّ مشروع يشير بعد أن سرد بطريقة افتراضية وبنى على افتراضه حقائق أسلم لها ورددها كمسلمة سائدة وثابتة

بعد أن أسقط عليها شواهد تاريخية ونصيّة لا علاقة لها بمسلمات افتراضاته . بدون جدل يستسهل المنتفخون بعلم الجهل صياغة الحياة وبطريقة يقينية لا تشوبها شائبة ولا تعتريها شكوك وهذا ما يجعل السهل في التسليم لا في التعقّل وما مثال الشيخ إلاّ تبريز لصورة باتت ظاهرة في مجتمع يستصعب الصعب فيؤجله ويستسهل السهل فيسلكه وهو مطمئن الضمير بعد أن كسب في السهل مؤونة الحياة وراهن على الصعب كي يركب ظهر الآخرة. ينتشر الوعظ الديني بطريقة غوغائية غير متصالحة مع النصوص ولا هي متصلة بالتجربة الإسلامية التي تعيب على الواعظين إسرافهم في سوء الفهم وتحميل التاريخ آثام جسام جديدة في استخدامه التبريري لأقوال وأفعال ناشطة في عملية الهدم لا البناء.

قراءات «آية الله» تكشف الجانب المجهول منه

2023/1/17

سارة عبداللّهي [1]

حتى ساعة متأخرة من إحدى ليالي الشتاء، كنت أستلقي في فراشي دون التمكن من النوم، أفكّر في إيران، في الناس الذين لا يزالون يواصلون السيطرة على الشوارع، وهم يكافحون من أجل شيء من حقوقهم الإنسانية الأساسية، فيما يسمّي النظام هذه الثورة أعمال شغب. الأطباء والممرضون الذين تعاملوا مع إصابات المتظاهرين، يشهدون على أن قوات الأمن كانت تصوّب عن عمد على وجوه النساء وصدورهن والمناطق الحساسة. عن ذلك يقول أحد المختصين النفسانيين: أعتقد أن طبيعة مثل هذه الهجمات تهدف إلى تدمير الجمال. لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد بدأ النظام، أيضاً، بتنفيذ الإعدامات بحق المتظاهرين. ثمّة صورة انتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي لأم تقف مبتسمة بجوار ابنها في السجن، سريعاً ما ستنطفئ هذه الابتسامة، لم يخبرها أحد، عند زيارتها له في السجن بأنه سيُعدم، وقد تركته على أمل أن تلتقيه ثانيةً، بدلاً من ذلك تلقت مكالمة تُفيد بأنه شُنق وقد أُعطيت رقماً لقبره. مجيد رضا رهنورد، وهو اسم الابن، لم يتجاوز الثالثة والعشرين من العمر، وهو واحد من كثيرين حُكم عليهم بالموت في محاكمات صورية، بعد انتزاع الاعترافات منهم بالقوة، ورغم ذلك يواصل الناس تنظيم أنفسهم، بلا كلل.

وأنا مذبذبة بين نقيضين: اليأس والأمل. أقلّب صفحات الجرائد وأتنقل بين مواقع التواصل الاجتماعي بحثاً عن أخبار من البلد الذي ولدت فيه،

1 - سارة عبد اللهي، كاتبة وناقدة أدبية سويدية من أصل إيراني. والموضوع مترجم عن صحيفة «سفينسكا داغبلاديت» السويدية 31 ـ 12 ـ 2022

لينتهي بي المطاف إلى حساب آية الله علي خامنئي في تويتر. ماكينة دعايته هي التي تدير الحساب، وهو مدهش في كيفية مزج التغريدات بين الشعر والفلسفة مع محتوى آيديولوجي طاغٍ، وهو نفس الأسلوب الذي اعتاده في خطبه، وعدا عمّا تنحو إليه اللغة من كراهية، فهي أيضاً جميلة بشكل خطير. لقد أدرك خامنئي شيئاً أساسياً، وهو أن اللغة تمثّل القوة. أفكر بذلك وأنا أنظر إلى صوره، ويتملّكني الفضول، فقد طبع رجال الدين الشيعة جزءاً كبيراً من طفولتي. يعود خامنئي إلى وعيي، متدفقاً، مع أني لا أعرف شيئاً عنه، وأتساءل، هل يمكن استخدام الجمالي كأداة لتحليل دكتاتور مثقف، في محاولة للاقتراب منه؟ لقد ولدتُ عام 1981، أي بعد سنتين من عودة سلفه، آية الله الخميني من منفاه الطويل، إلى إيران التي أُبعد منها العام 1964، استقبلته الملايين في الشوارع، وقد أصبح الزعيم الجديد للبلاد. كانت الثورة الإسلامية تقترن بجمالية جديدة بقدر ما كانت تقترن بولادة آيديولوجية جديدة وكان ذلك يعني تجديد البلاد، على الأقل، بصرياً: الحجاب الإلزامي للفتيات والنساء، المساجد في كل زاوية، الجداريات الثورية، إضفاء الطابع الرومانسي على مفهوم الشهادة، من خلال الأغاني الجميلة والمثيرة التي تُبث عبر الإذاعة والتلفزيون، من بين أشياء أخرى. جميع الخدمات العامة والهيئات المملوكة للدولة صارت تخضع لسيطرة رجال الدين، وكان هؤلاء حاضرين في كل ركن. وجوه صارمة تراقبنا من رايات ضخمة تخفق فوق الطرق السريعة، والنظرات الحقودة المرسومة على واجهات المنازل كانت تحرسنا دون إذن. يجدر بالدين أن يكون وعداً بالدفء والأمل، لكن في هذه الحالة لا يمنح سوى الشعور بالعقاب. كثيرون يعرفون أن الخميني قد أصدر قبل موته فتوى ضد الكاتب سلمان رشدي، حول ذلك نشر الكاتب دانييل كالدر في «الغارديان» مقالاً ذكر فيه كيف أن بغض الخميني لرشدي جعل منه الروائي الأشهر، ربما، خلال القرن العشرين. كالدر تحدث أيضاً عن كتابة الخميني للشعر، وما يمكن أن تنطوي عليه قصائده من مفاجآت، كما في السطرين التاليين:

افتح باب الحانة ودعنا نذهب هناك، ليلاً ونهاراً

لأني سئِمتُ من الجامع والدرس

لكن كم يبلغ هؤلاء الذي يعرفون أن خامنئي كرّس نفسه للعمل الفكري بطريقة ترسم حداً فاصلاً بينه وبين سلفه الخميني، بين رجل الدين القديم والجديد؟ كان خامنئي، قبل أن يصبح الزعيم القمعي لإيران، مدرساً للفلسفة الإسلامية، وعندما كان يعيش في مشهد، المدينة المقدسة المعروفة والتي أضحت مسرحاً لجرائم قتل متسلسلة استهدفت بائعات الهوى، كما عرّفنا على ذلك فيلم علي عباسي «عنكبوت مقدس»، شارك في نشاطات أدبية مع شعراء معروفين، وقام بمراجعات نقدية للقصائد وقراءتها بنفسه تحت الاسم المستعار «أمين». تتناول نصوص وخطب خامنئي، الفن، الصلوات اليومية، وكيف يجب أن يُفهم الدين، العدوان الثقافي والاستعمار، معرفة العدو، وضرورة العودة إلى القرآن.

يحكم خامنئي سيطرته على الرئاسة والقضاء والبرلمان ومجلس صيانة الدستور والقوات المسلحة، أي الشرطة والجيش والحرس الثوري. كما يفرض هيمنته على شرطة الآداب والباسيج (الميليشيا الإيرانية شبه العسكرية). أما قراءاته، فتشتمل على عدد كبير من الشعراء والكتاب الإيرانيين والعالميين، ومن بين هؤلاء أيضاً عدد من النساء المعاصرات. في صورة تعود إلى العام 2015، يظهر فيها خامنئي أصغر سناً مع كتاب مفتوح في حجره، يكتب معلقاً، في حسابه على تويتر: «غالباً ما تكون القراءة في مثل سني أقل فاعلية بكثير من القراءة في سن مبكرة. القراءة في سن مبكرة تدوم إلى الأبد». في نفس العام ينشر خامنئي تغريدة أُخرى مع صورة يظهر فيها وكتاب في يده، يخبر فيها الزعيم الديني البالغ حينها من العمر 75 عامًا أكثر من 100000 متابع أنه «غير مهتم بالسينما والفنون البصرية» لكن «فيما يتعلق بالشعر والروايات، فأنا لست مجرد قارئ عادي»، كما يكتب، مضيفاً: «تولستوي كاتب هائل»، أحِبّ أليكسي تولستوي، وهو كاتب رائع. حتى عام 1925 كان معادياً للثورة، ثم

فهم الثورة، وعاد إلى الوطن ليكتب «درب الآلام».

كان كل من تولستوي وشولوخوف، كاتبين على وفاق مع النظام، تمّ الاعتراف بشولوخوف عالمياً وفاز بجائزة نوبل، بينما كان تولستوي في «الجانب الخطأ»، كان مناهضاً للبلاشفة، وهاجر ثم عاد. كان بارعاً جداً في إعطاء النظام ما يريد، وبذلك نجا من قمع ستالين، وقد استطاع التكيّف، ونصوصه كذلك. أصبح تولستوي لاحقاً فناناً سوفياتياً كبيراً، وروايته المعروفة «درب الآلام» تتناول ثورة أكتوبر والحرب الأهلية. وفي خضم الثورة في سانت بطرسبرغ، حيث يتم تدمير العالم القديم، يعرض الكاتب إلى تكيّف الشقيقتين (وهما شخصيتان في الرواية) مع الجديد. من هنا يُفهم، أيضاً، أن خامنئي الذي ساهم هو نفسه في تدمير المجتمع وإنشاء مجتمع جديد، يجد الكتاب جذاباً.

ومن المثير للاهتمام أن النظام الإسلامي لم يعترض أبداً على هذا النوع من الكتب، على الرغم من أن مؤلفيها كانوا ماركسيين ملحدين، علناً. لقد تجاوز النظام ذلك، مفضلاً النظر إلى القيمة الثورية. ديكتاتور آخر كان مولعاً بالأدب الستاليني هو الجار العدو صدام حسين، الذي كان مثل خامنئي يعتقد، أيضاً أنه يمكنه التحدث مع الله، وأنه كلفه بقيادة العراق، وأن يجعل منه نموذجاً لبقية البلدان العربية، كي يصبح القائد العربي الوحيد في العصر الحديث، وبدوره أعجب صدام، أيضاً، بالأدب ذي الميول الستالينية، وهو ما كان يُرى في مكتبته. يُقال إنه قبل تولّيه زمام السلطة كان يقول للآخرين في حزب البعث: «انتظروا حتى أتولى أمر هذا البلد، وسأصنع منه دولة ستالينية». وقد اعتاد الناس الضحك، آنذاك، لكن تبيّن فيما بعد أنه ادّعاء جاد. يتحدى كل من صدام وخامنئي التفكير المعتاد والسائد عن القراءة، والتطلع إليها، كنشاط رحب. إن الترحال عبر عوالم وأزمنة وحيوات مختلفة يتيحها الأدب ويدعو إليها، من شأنه أن يُقنع القارئ دائماً بأن يكون أكثر وجدانيةً وتفهماً. والأدب لديه المقدرة على استدعاء شيء وجعله ممكناً، كالحرية والمساواة والديمقراطية، على أنه ليس خيراً أو شراً في حد ذاته، كما أن قراءة الكتب لا تقتصر على الأشرار أو

الأخيار من الناس، فهي امتياز للجميع. هذه هي قوة الأدب! والأمر نفسه ينسحب على الفن، لكن الخطر هو أنه بمجرد أن يبدأ التفكير به كأداة، يمكن أن يتحول ببساطة إلى دعاية خالصة. تمتلك إيران تاريخاً ثقافياً غنياً، من أبي القاسم الفردوسي وملحمته الشعرية «الشاهنامة» (القرن الحادي عشر للميلاد)، إلى شروين حاجي بور، وأغنيته «براي»، هذه الأغنية التي ارتبطت بالثورة الحالية وحققت نجاحاً ساحقاً. و«براي»، بالفارسية، تعني «من أجل» وقد اعتمدت في كلماتها على الشعارات المرفوعة في الاحتجاجات (ملاحظة المترجم). وهكذا فإنّ الالتزام في الثقافة يتخطى حدود كل من الطبقية والأجيال، وهو قوة كبيرة لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار، الأمر الذي يشكّل تهديداً لخامنئي، لذا يحاول القضاء عليه، وهو مسؤول، في الأخير، عن نظام حيث الرقابة حاضرة فيه وتصادر الكثير من الأعمال التي يتمتع بها هو نفسه. ووفقاً لنادي القلم الدولي: «في الوقت الذي غرد فيه خامنئي عن الكتّاب الذين تضمهم مكتبته، كان أكثر من عشرين كاتباً يقبعون في السجون الإيرانية، كما يوجد عدد أكبر من ذلك في الحجز وهم معرضون لخطر الإعدام». من الواضح أن ديكتاتوراً مثقفاً، يمكنه قراءة جميع الروايات النسوية في العالم، والكتب المتعلقة بتعاسة المجتمع، ويقرأ دزينة من الكتّاب الوجوديين، وفي الوقت نفسه يعمد إلى محو وجود النساء والأطفال، الرجال والأقليات من على وجه الأرض، يكون قد اختار كلاً من القلم والسيف.

اليوم السابع

ترجمة عربية لكتاب «حوار بين الشرق والغرب».. كيف تؤثر الثقافات على المستقبل؟ 2023/2/2

بلال رمضان

صدر عن الدار العربية للعلوم ناشر، ترجمة عربية لكتاب بعنوان «حوار بين الشرق والغرب: التطلُّع إلى ثورة بشرية» وهو من تأليف ريكاردو دييز- هوشليتنر ودايساكو إيكيدا، ونقله إلى اللغة العربية المترجم ربيع هندي، ويندرج ضمن فئة كتب الفلسفة.

يتناول كتاب «حوار بين الشرق والغرب: التطلُّع إلى ثورة بشرية» إلى أي مدى تؤثر الثقافات على مستقبل الكوكب؟ هل يمكن أن يتأثر النقاش حول البيئة والاحتباس الحراري بثقافات الشرق والغرب التي تفهم بعضها البعض بشكل أفضل؟ في هذا الحوار يقترح اثنان من أكثر المفكرين تأثيراً في عصرنا أن «الثورة البشرية» فقط – وهي تحوّلٌ في قلوب وعقول الأفراد – يمكن أن تحفّز ثورة في علاقة البشرية مع الكوكب، وتتطلب مثل هذه الثورة الكوكبية أولاً، تحولاً في القيادة الأخلاقية والسياسية، وتوجهاً نحو المستقبل بدلاً من الانشغال بالسياسات قصيرة المدى للحاضر، يدعو دايساكو إيكيدا السياسيين إلى أن يتخذوا من دعائمهم احترام كرامة الحياة والبلاغة لإلهام الناس بحس المجتمع والشجاعة. في المقابل، يشدد عالم الاقتصاد الغربي الشهير وعالم التربية ريكاردو دييز هوشلايتنر على أهمية التخطيط التربوي السليم والتنمية في مواجهة التحديات التي يفرضها الفقر وعدم المساواة وتغير المناخ.

ريكاردو دييز- هوشليتنر هو رئيس نادي روما بين عامي 1992 و2000، وهو

عالم تربوي ومفكر سياسي واقتصادي بارز، وكان فاعلاً في المناصب القيادية في البنك الدولي، واليونيسكو ومنظمة الدول الأمريكية، كما شغل منصب نائب وزير التعليم في كولومبيا، ووكيل وزير الدولة للتعليم والعلوم في إسبانيا.

دايساكو إيكيدا هو رئيس منظّمة سوكا غاكاي العالمية، وهي منظّمة بوذية تضمّ حوالي اثني عشر مليون تابع من أكثر من 192 دولة ومنطقة في جميع أنحاء العالم. ألّف أكثر من ثمانين كتاباً حول البوذية، وحصل على جائزة الأمم المتحدة للسلام في عام 1993، وقد تمّ الاعتراف بعمله في استعادة العلاقات الصينية اليابانية على نطاق واسع، بالإضافة إلى مساهماته في السلام العالمي والتبادل الثقافي والتعليمي. منحه المجتمع الأكاديمي في العالم أكثر من 400 درجة أكاديمية.

اليوم السابع

«الحجاب في الأديان والعقائد إشكاليات الجدل المعاصر»... أحدث مؤلفات هدى درويش

2023/2/8

حمدي عبد العظيم

عبرت الدكتورة هدى درويش أستاذ علم مقارنة الأديان جامعة الزقازيق عن سعادتها البالغة بعد أن حظي كتابها «الحجاب في الأديان والعقائد إشكاليات الجدل المعاصر»، أحدث مؤلفاتها بتقديم فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف.

وقالت الدكتورة هدى درويش لـ «اليوم السابع»، إنه من وقت لآخر يَطرح موضوع الحجاب نفسه كقضية جدلية باختلاف العصور والأزمنة، وما يثار من جدل حول الحجاب في البلدان العربية والعالم شرقا وغربا على السواء هو تكرار لأفكار وحلقات سابقة في أزمنة وأماكن مختلفة، وفى هذا الموضوع استطعت إصدار كتابي «الحجاب في الأديان والعقائد، إشكاليات الجدل المعاصر»، حيث يقدم الكتاب صورة شاملة لموقف الأديان من الحجاب من خلال دراسة نصوصها الأصيلة، وذلك بهدف دحض المزاعم المستمرة التي تقصر الحجاب على الدين الإسلامي، ويؤكد على أن احتشام المرأة وتسترها أمرٌ تُقِرُّه جميع الأديان والشرائع وتحث عليه، ولا نجد خلافا لهذا المبدأ في العصور القديمة أو الحديثة.

وأضافت الدكتورة هدى درويش، أنه لا يركز موضوع الكتاب بالأساس على الحجاب بمعناه المادي والحسى، وإنما تتخطى فكرته هذا الأثر المباشر إلى حيث المعنى والمفهوم الشامل الذي يعنى الحجاب من حيث أخلاق المرأة وعفتها وصون كرامتها.

ويتناول الكتاب الحجاب في المعتقدات الوضعية والفكر المدني القديم، حيث كان غطاء الرأس عند المرأة معروفًا في العصور القديمة لتحقيق احترامها وشرفها وصيانتها وحمايتها عند الفراعنة، والآشوريين، والإغريق، والهنود، والفرس، والرومان، وفى عصور الجاهلية، مرورًا بالعقائد الزرادشتية والبوذية والكونفوشية والمانوية وغيرها، كما يتناول الكتاب غطاء الرأس فى الأديان السماوية، وتطور الفكر الغربي حول الحجاب، والمواقف الغربية الرافضة والمؤيدة له.

واختتمت الدكتورة هدى درويش: "شرف الكتاب بقراءة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب لبعض موضوعاته والتقديم له، وهو ما يعد تتويجا لمشروع المؤلِّفة العلمي الدائم والمستمر الذي رهنت له كل حياتها منذ عقود عن المشترك الديني والتسامح وحوار الأديان».

مؤمنون بلا حدود

حلقة حوار ونقاش حول موضوع: «أيّ دور للأديان في بناء المجتمع؟»

2023-3-11

انعقدت بمقر مؤسّسة مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث وجمعيّة الدّراسات الفكريّة والاجتماعيّة، بتونس العاصمة، يوم الجمعة الموافق ل 06 آذار/ مارس، بالاشتراك مع جمعية التّلاقي وجمعيّة الوحدة في التنوّع، حلقة حوار ونقاش حول موضوع: «أيّ دور للأديان في بناء المجتمع؟»، أدارها الأستاذ نادر الحمّامي، وساهم فيها السّادة:

- ديفيد عزيز (راعي الكنيسة الأسقفية بتونس)،
- محرزية العبيدي (عضوة منظّمة أديان من أجل السّلام بفرنسا)،
- محمد بن موسى (عضو مكتب الإعلام للجامعة البهائية بتونس)،
- شيماء عيسى (باحثة في علوم اجتماع الدّين)،
- صبرين الجلاصي (أستاذة في علم الاجتماع)،
- الأستاذ محمد الشّريف فرجاني (أستاذ الأديان المقارنة والعلوم السّياسية).

انطلقت الجلسة بإشارات تأطيريّة، قدّم خلالها الأستاذ نادر الحمّامي فكرة حول اللّقاء الذي يضمّ إلى جانب الأساتذة الباحثين والأكاديميّين من ذوي الاهتمام بالمسألة الدّينيّة من وجهة اجتماعيّة وثقافيّة وفكريّة، نخبة من الفاعلين الاجتماعيّين والنّاشطين ضمن المؤسّسات الدّينيّة والمدنيّة ذات العلاقة بالشّأن الدّيني، معتبرًا أنّ الحوار في هذه المسائل يقتضي جانبًا من التّنوّع والتّفاعل الذي يعبّر عن الواقع من أجل أن يحاول الاقتراب من الظّاهرة الدّينية، ويلامس القضايا الكبرى التي تنطوي عليها الممارسة العقائديّة في المجتمع عمومًا، وفي

المجتمع التّونسي على سبيل الخصوص، وانطلق السّؤال الذي وجّهه أوّلاً إلى السّيد ديفيد عزيز من هذه النقطة، مستفسرًا حول ما يراه المسيحيّون في المجتمع التّونسي من إمكانيّات تعايش مع الآخر المختلف في العقيدة والمتّفق في المواطنة، وقد بيّن السيّد ديفيد عزيز أنّ تجربة التّعايش التي يخوضها المتديّن الأقلّي في مجتمع مختلف من حيث التمثّل العقائدي والممارسة، من شأنه أن يطرح الكثير من العوائق التي يمكن تجاوزها حين يدرك الأفراد أهمّية المشترك الذي يجمع بينهم في مقابل الاختلاف العقائدي الذي يميّزهم، ليمكنهم من ثمّ استثمار جميع الرّوابط الثقافيّة والمدنيّة لتحقيق التّفاعل المواطني، على اعتبار أنّه الغاية الأمثل للانخراط في التّعايش الاجتماعي، وبيّن عزيز أنّ الإشكال ما يزال قائمًا في المجتمعات العربيّة التي يعيش فيها المسيحيّون، لأنّها لم تدرك بعد، بشكل نهائي، أهمّية المواطنة، واعتبر أنّ الإيمان من جهة كونه فرديّا، خاص بين الإنسان وربّه، ولكنّه يؤثّر في الهويّة المواطنيّة، لذلك يخاف المتديّن من الإفصاح عن انتمائه الدّيني.

وإجابة عن سؤال أثر الدّين في برامج التّعليم الموجّهة للنّاشئة ومكانة الدّين فيها، وإمكانيّات إصلاحها، حتّى لا تؤسّس للخوف من الآخر والخوف من الاختلاف، اعتبرت السّيدة محرزيّة العبيدي أنّ المسألة الدّينيّة تواجَه بكثير من الخوف، وأرجعت ذلك إلى تساؤل كل فرد عن مكانه داخل الفضاء الاجتماعي يحفظ هويته الدّينية والعرقيّة والجنسيّة، وقالت إن الأغلبيّة الدّينيّة في المجتمع تغفل دائما عن طرح الأسئلة الحارقة بخصوص التنوع الدّيني، لأنّها تغفل عن تمثّل الدّين من وجهة نظر أقلّية، وبينت أنّها واجهت سؤال التنوع الدّيني، عندما عايشت أديانًا أخرى في المجتمع الفرنسي، وتفطّنت إلى أهمّية إعلاء قيم التّعايش والقبول بالآخر المختلف واحترام عقائده وشعائره وممارساته الرّوحيّة. وعرّدت العبيدي على مسألة التعليم الدّيني أو الدّين في برامج التعليم الرّسمي، وأكّدت على وجوب معالجة أسباب الخوف من الآخر، وعلى أهمّية الوعي بالمختلف في سياق يؤسس للتعايش والسلام، وقالت: « علينا أن نعي بضرورة تعليم أطفالنا التنوّع الدّيني والعرقي، فوحدها المعرفة تزيل الخوف من الآخر».

وحول سؤال مدى اعتبار الوعي بالاختلاف والتّنوّع الدّيني ضرورة حيويّة في المجتمع، وتأثير ذلك في تمثّل الهويّة الفرديّة والجماعيّة، بيّن محمد الشّريف فرجاني أنّ الأديان متنوّعة في الظّاهر، ولكنّها تعود إلى وحدة الإيمان بالمقدّس والمتعالي، وأنّ جوهرها واحد، رغم اختلاف تفاصيلها، وقال: «إنّ الدّين وسيلة من الوسائل التي يحاول الإنسان بواسطتها إضفاء المعنى على وجوده من أجل تجاوز الوعي المأساوي الذي يضفيه عليه الموت»، وخلص من ذلك إلى اعتبار أهمّية العنصر المشترك بين جميع البشر، وهو إنسانيّة الإنسان من منطلق الاتّفاق مبدئيّا على أنّه كائن حرّ، وأكّد أنّ الأديان تعبّر بعمق عن الإنسان في محاولته إيجاد المعنى من وراء وجوده ومحاولته الإجابة عن سؤال المصير، ليطمئنّ قلبه، ولكن مع وجوب إدراك قيمة الحرّية والانفتاح على الآخر. وقدّم فرجاني بعض الملاحظات حول تجربته في فرنسا، وبيّن أهمّيتها من حيث إنّها وفّرت له مجالاً ضروريّا للانفتاح على العالم والنّظر إلى جميع المعتقدات من وجهة متساوية على أساس التّعايش والتّواصل والسّلام لا على أساس الفرقة والصّراع.

وفي سياق التّأكيد على أهمّية انفتاح التّجربة الدّينيّة على الآخر المختلف، والإجابة عن سؤال مدى قدرة الأديان على تجاوز المعيقات التي تواجه إرساء قيمة التّعايش الاجتماعي والسلام المادّي والرّوحي، بيّن السيّد محمّد بن موسى أنّ الأديان قادرة على التّجاوز نحو الكثير من القيم المشتركة بين الأفراد، إذا حصل الوعي لدى النّاس بأن الاختلاف لا يشكّل خطرًا على حياتهم ولا على معتقداتهم، وأنّ الدّين سبيل روحي لا يمكن فرضه بالقوّة على أيّ إنسان، وقال: «لقد أصبحت إنسانيّة الإنسان اليوم منفتحة بالضّرورة على العالم في جميع المستويات الفكريّة والاقتصاديّة والإعلاميّة، ومن البديهي أن يتمّ الانفتاح بين الأديان بناءً على المشترك الذي يجمع بينها» وعرّج على تجربته الدّينيّة البهائيّة، قائلاً إنّه لا يشعر بأنّه أقليّ في المجتمع، وأنّه قادر لذلك على ممارسة حياته في إطار التّواصل والتفاعل مع الآخر المختلف دينيّا.

وأشارت الباحثة في علم اجتماع الدّين صبرين الجلاصي، أنّ الظّاهرة الدّينيّة من شأنها أن تخلق سندًا تضامنيًّا بين الأفراد من خلال الممارسات العقائديّة والطّقوس، واعتبرت أنّ الهويّة الدّينية جزء من الهويّة الاجتماعيّة، بناءً على التّساؤل «من نحن؟ ومن هم؟»، وأكّدت أنّ الجهل بالآخر المختلف، هو السّبب وراء عدم الرّغبة في الانفتاح على تنوّع الأديان في المجتمع، كما بيّنت أنّ المخيال الشّعبي حول الأديان يسهم في عمليّة الوصم، التي تطال الأقلّيات الدّينيّة، ولا تسمح بفهم المختلف والقبول به، وقالت: «إنّ الهويّة الاجتماعيّة ليست ثابتة، وإنّما هي ديناميكيّة حسب عدّة متغيّرات ثقافيّة؛ وبالتّالي فإنّ الهويّة الدّينية لا تلتزم بالضّرورة بمعايير اجتماعيّة رسمتها الجماعة».

واعتبرت الباحثة شيماء عيسى، في إجابتها عن سؤال أوجه الوعي بالتّعدّد الدّيني في المجتمع، أنّ «التعّدد الدّيني والغيريّة وغير ذلك هي من القيم، تبقى ممكنة في المجتمع، لأنّ التعّدد فطرة في الإنسان»، وبيّنت أن الأمر يقتضي النّظر في مكوّنات التعدّد الدّيني، من متديّنين وفاعلين دينيّين ومؤسّسات دينيّة وأقليّات دينيّة، والانتباه إلى أن البعد التّواصلي بين مختلف هذه الأطراف كامن في العلاقات الممكنة فيما بينها، على أسس موضوعيّة تراعي القيم الاجتماعيّة التي تضبط التّعايش بين الفئات المختلفة وفق الحقوق والواجبات التي لا تتأسّس بدورها على معطيات عقائديّة أو إيمانيّة ذاتيّة بقدر ما تتأسّس على قيم المواطنة، واعتبرت في هذا السّياق أنّ العائق نحو تحقيق التّواصل الإيجابي بين مكوّنات المشهد الدّيني في المجتمع يعود إلى مكوّنات المشهد الدّيني نفسها، وأنّ السّبيل نحو التّعايش يفترض القبول بالآخر المختلف والإيمان بإنسانيّة الإنسان.

مؤمنون بلا حدود
العلاقة الملتبسة بين الدين والتديّن
2023/3/9

ينتسب الباحث المصري والمستشار السابق عبد الجواد ياسين إلى كتيبة من المثقفين العضويين الذين سعوا، على تباين مقارباتهم لأزمة الخطاب الإسلامي، إلى محاولة الإجابة عن الأسئلة الملحّة التي تدق بقبضتها الغليظة خزّان الحيرة في عالم متحوّل شديد الإيقاع، يهدد من لا يجاريه بالخروج من مضماره، ويدفعه بعيداً عن قارعة التاريخ.

لذا اختار ياسين الاشتباك مع الموروث الديني، وفضّ عرى العلاقة الملتبسة بين الدين والتديّن، والقائمة على ذوبان التاريخي في المطلق، واتساع المطلق ليشمل كل مفردات العيش، مهما تضاءلت، أو قلّ شأنها، وهي المرحلة التي جرى فيها «تحويل العُرف إلى نص» كما يقول الباحث.

ويمثل كتاب «الدين والتديّن» الصادر أخيراً عن دار التنوير، ذروة الكثافة المنهجية، والتأصيل النظري في أعمال عبد الجواد ياسين، إذ راح يلقي ظلالاً كثيفة، وإن بدت بعيدة، على اللحظة الراهنة التي يتم فيها اختطاف الدين، وإعادة إنتاجه وَفق الترسيمات الفقهية التي وضع أصولها الشافعيّ الذي يعدّه ياسين في كتابه السابق «السلطة في الإسلام» بمثابة «المؤسس النظري للعقل الفقهي».

ولعل «جناية الشافعي» تكمن في تحويله اللانص إلى نص يمتلك من القوة التشريعية والطاقة الدلالية ما للنص الأصلي، وهو القرآن، بمعنى أن الشافعي وحّد بين الإلهي والبشري، وجعلهما على درجة متساوية من الإلزام.

إلى جانب ذلك، وفي كتابه «الرسالة»، قرر الشافعي أنه «ليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة، إلا في كتاب الله الدليُل على سبيل الهدى فيها». وهذا الإقرار الشافعي، الذي رأى صاحبه فيما بعد، أن «النص يغمر الحياة» هو الذي حوّل

العقل الإسلامي إلى «عقل تابع»، إذ ما تزال ارتدادات ذلك الزلزال تنسحب على الثقافة العربية الإسلامية حتى الوقت المعاصر، وهو ما تنبّه إليه الراحل محمد أركون الذي عزا «سيطرة التقليديين والأصوليين السلفيين على الشارع العربي، بل والإسلامي كله، إلى تلك النظرة التي أصّل لها الشافعي في لحظة ثقافية منغلقة في إطارها الزمكاني»، مع أن ياسين يعتبر أن تلك اللحظة الشافعية «تعكس نمط التفكير الديني في لحظة توهجه القصوى»!

إن خطورة التأصيل الفقهي الشافعيّ أنه عطّل الفاعلية الإبداعية للإنسان، وعمل على تكبيل إرادته، وتعطيل خبرته التاريخية، فضلاً عن عدم امتثال «العقل الشافعي» للمقاصد الكلية للشريعة، وهي المقاصد التي حكمت عقل الكثير من الفقهاء، وفي مقدمهم أبو حنيفة الذي لطالما غلّب العقل في النظر إلى الأحكام الشرعية.

إن إشكالية الدين والتديّن تقع في صلب قضية تأويل خطاب الفقه؛ فبمقدار ما يراعي هذا الخطاب المصالح العامة للإنسان، بمقدار ما تتضاءل مساحة التديّن التي تسعى إلى إكراه الدين على الاستجابة لشروطها ومصالحها، وهو ما يقوم به العقل الإسلاموي البراغماتي في زمن الربيع العربي، عبر حرمان الخطاب الإلهي من طاقة الفهم المعاصر.

هذا العقل يَعتبر الشافعيَّ منظّرَه الأسمى، ولا غرو في أن يحيطه بقداسة ترقى إلى قداسة الأنبياء، فلولا الشافعي لظل العقل الإنساني هو مناط التفكير، ولأضحى انفكاك الدين عن الحياة أمراً ممكناً، ولتعذر وفقاً لشروط التطور التاريخي أن يغمر النصُّ الحياة، ويقدّم إجابات كلية عما مضى، وما سيمضي في المستقبل غير المنظور المكتَنَف في طيات الغيوب!

لا تثريب على ما قدمه الباحث عبد الجواد ياسين في «الدين والتديّن» على الرغم من أنني تمنيتُ لو أنه أوْلى «جناية الشافعي» الاهتمام الذي تستحقه، أو لو أنه نأى عن السير على تخوم المشكل الديني المتصل بنقض خطاب الوحي، ونزع القداسة عن النص الديني، باعتباره نصاً بشرياً، أو تحول إلى نص بشري،

ما دام النص قد أضحى معطى للبشر يتأوّلونه ويفككون شيفراته، وفقاً لإملاءات اللحظة الاجتماعية التاريخية وشروطها الاقتصادية.

وإن شئنا البحث عن حلول منهاجية لهذه المعضلة التي تحكم العقل والفعل الإسلاميين في هذه القنطرة التاريخية المرتبكة؛ فعلينا المبادرة إلى تدشين عهد فكري جديد يقوم على انبثاق نظرية تأويلية إسلامية معاصرة، تنزع الغلالات الكثيفة المحيطة بالنصوص الدينية التأسيسية، وتكشف الاستثمار الإيديولوجي النفعي لها، وتستجيب للتحديات الراهنة وتجبهها.

الشرق الأوسط

سؤال المليون: كيف نحسن صورتنا في الإعلام الغربي؟

2023/02/26

لا يكاد يخلو منتدى إعلامي عربي من جلسة يدور محورها حول «صورتنا في الإعلام الغربي»، تعددت العناوين والمحور واحد.

عقود زمنية نشكو من ذات المشكلة التي لم نعثر على مفتاحها بعد، وهو كيف نصل إلى المتلقي الغربي ونجعله يرانا كما نحن، لا كما يصورنا إعلامه؛ إذ مهما بلغت نواقصنا وعيوبنا فإنها ليست كما ينقل عنا، ولا كما يشوه عمداً واقعنا.

لُمنا تقصير إعلامنا لحصره خطابه على الداخل فحسب، ولا يملك قدرة على مخاطبة الخارج، ولمنا صناع القرار لتضييع كثير منهم البوصلة وعدم اهتمامهم بالأولويات، وعلى رأسها تقوية الأجهزة الإعلامية.

ألا تعتقدون أننا لم نحاول التواصل مع قنواتهم الفضائية التي تُعنى بالشؤون الدولية وخاصة بالشرق الأوسط؟ سواء محطات تلفزيونية كـ«السي إن إن» أو الـ«بي بي سي» أو «فرانس 24» أو «الدنماركية» أو غيرها؟ أتظنون أننا لم نحاول التواصل مع صُحفهم التي تخصصت في مهاجمتنا، الأميركية منها أو الأوروبية؟ الواقع أن المحاولات عديدة ولم تتوقف لكنها تبوء بالفشل دوماً... والحل؟ عقود ونحن نطرح السؤال ذاته، ولم نعِ أننا نحاول دوماً الولوج للرأي العام الغربي بالمفتاح الخطأ، فوسائل إعلامهم المعنية بالشؤون الدولية (محطات وصحفاً)

ليست هي مفتاحنا، مؤشرات قياس صورتنا في ذهنية الرأي العام الغربي هي ليست عند تلك المنصات، ولن تكون، فتلك ملك وتابعة لمؤسسات ذات أجندات سياسية صرفة لا علاقة لها بالشفافية والحقيقة والعدالة والإنصاف، لذا لن نتمكن من اختراق جدرانها وتوظيفها لنقول قصتنا ورواية واقعنا.

المفتاح الأول يكمن في تجاوزها، فهي ليست طريقنا ولن تكون، ولا وسيلتنا، ولا عن طريقها سنخاطب الرأي العام الغربي؛ لذا فلا نعير اهتماماً كبيراً لما تقوله عنا، ولا نضيع جهدنا هباء في محاولة الوصول لها وإقناعها بحقيقتنا، فلن يستمعوا لنا مهما بذلنا من جهد، ولطالما وعينا تلك الحقيقة، لكننا مستمرون في المحاولة باستخدام المفتاح ذاته؛ علَّ وعسى يفتح هذه المرة.

كم هي المرات التي نعرف فيها أن العاملين في تلك المنصات جاؤوا ورأوا بأعينهم ووصلت لهم الحقيقة كاملة، ثم نراهم يصرون على نقل ما يريدون لا ما يعرفون؟ ليست المسألة نقص معلومات وتقصيراً منا، المسألة أنهم يجرونا دوماً للجهد مع ذات الدوائر المغلقة حتى لا نعثر على المفتاح الصحيح.

لذا، فتجاوزهم هو أول الخطوات التي ستقودنا إلى العثور على مفتاح الرأي العام الغربي مباشرة، دون الحاجة للمرور عبر بوابتهم.

التعامل مع المشاهير (رياضة، فن، أدب، غناء، ثقافة، مؤثرين بجميع أنواع أنشطتهم) والذين هم ذاتهم قد تجاوزوا بوابات إعلامهم وليسوا بحاجة لها، هو الخطوة الثانية، وهو المفتاح الصح.

هؤلاء يتبعهم الملايين، هم أهم المفاتيح لنقل روايتنا الآن مباشرة إلى الرأي العام الغربي، لا الـ«سي إن إن»، ولا «واشنطن بوست»، ولا الـ«غارديان»، بل هؤلاء المشاهير القادرون على الوصول لملايين المتابعين هم من سينقلون ما يشاهدونه، دونما الحاجة لمفتاح تلك الوسائل، ودون الحاجة لتوسلها حتى تفتح بوابتها لصوتنا.

صورة ليوناردو يحتفل بيوم التأسيس السعودي تغني عن ألف مقال، فيديو قصير لستيف هاري في بالكندورة الإماراتية يغني عن ألف تقرير على الـ«سي إن إن». هنا يجب أن نركز، وهنا يجب أن نبذل الجهد.

صناع القرار في الولايات المتحدة والدول الأوروبية وكندا وأستراليا جميعهم يراهنون على وصول صورة عنا تخدم أهدافهم السياسية للمتلقي الغربي، وهؤلاء يستخدمون المنصات التقليدية التي يحتكرون مفاتيحها، ويحرصون على وصول صورهم ورؤيتهم فقط عنا، ولن نتمكن من خلال تلك المنصات أن نصل إلى المتلقي الغربي؛ لذا يجب ألا نضيع الوقت والجهد والمال في محاولة لاختراقها، كما يجب ألا ننساق إلى فخها ونبقى في الدائرة التي يتعمدون أن يشغلونا بها عمداً.

ناهيك عن أن تلك المنصات ليست من اهتمام المتلقي الغربي العادي، فأولوياته في محطاته ومنصاته المحلية، أما الدولية فهي تلقى اهتماماً من صناع القرار، وهؤلاء يخاطبون ذاتهم ويحرصون على أن يبقونا في دائرة الابتزاز.

لاحظوا أنه حتى المستثمر الغربي لا يعتمد على تلك المصادر، بل يسعى بنفسه إلى معرفة الحقيقة، ولذا فإنه يتجاوز دعوات المقاطعة التي تدعو لها تلك المصادر، ويأتي بنفسه يطلب المشاركة والمساهمة في أسواقنا الواعدة، وكذلك يفعل المشاهير حين دعوتهم عندنا.

هل نصمت تجاه تشويه صورتنا في تلك المواقع؟ لا، نرد عليهم... ولكن لا نجعلهم من أولوياتنا ولا نبذل الجهد والمال والوقت معهم، دعوا الانشغال بهم في المرتبة الثانية، وأن نبدأ بنقل معداتنا والتواصل مباشرة مع من هم يعنوننَا، دونما الوقوف والتوسل عند بواباتهم التي لن تفتح لنا.

الأخبار

المستعرِب يواجه «حزب الله» في ضاحية بيروت الجنوبية: مسلسل «فوضى» يقدّم الرواية الصهيونية للصراع

2023/03/02

ينجح الصهيوني في تقديم نفسه وقضيته وقصّته بشكلٍ جذّاب وعصري. في مسلسل «فوضى» (تأليف ليئور راز وآي اسخاروف) بأجزائه الأربعة الذي تبثّه وتنتجه شبكة «نتفليكس»، نجد تضخيماً، وتعظيماً، وإعلاءً من شأن وحدة «المستعربين» (بالعبرية «مستعرفيم») الصهيونيّة المجرمة. حتى اللحظة، أثبتت هذه الأخيرة فشلها في أكثر من معركة مع الداخل الفلسطيني المحتل، فضلاً عن عجزها عن القيام بعمليات ذات تأثير حقيقي داخل غزّة كما يقترح المسلسل. في المقابل، لا نزال نفشل في تقديم قضيتنا والصراع العربي الإسرائيلي بطريقةٍ تشجع المتابع العربي ـ قبل الغربي ـ على متابعة ما نقوله، إذ تنقسم أعمالنا بين تقديم الصهيوني بطريقة كاريكاتورية ضمن منطق «شو خبيبي»، حيث يتحدّث الصهيوني بلهجة عربية مكسرة مضحكة وسخيفة في آن، أو تقديمه خبيثاً شبيهاً بشخصية شيلوك المرابي في «تاجر البندقية» لشكسبير، ناهيك باستعمال كل أنواع الكليشيهات المتعفّنة التي تصوّر العربي مقاتلاً خيالياً. يُضاف إلى كل هذا الفارق الرهيب في تقنيات التصوير والإخراج والكتابة (الحبكة) وحرفة الصنعة السينمائية في أعمال عربية مقارنة بمسلسل «فوضى» على سبيل المثال.

في الجزء الرابع من المسلسل الذي يمتد على 12 حلقة، يعود بطل العمل دورون (ليئور راز) المجنّد في وحدة المستعربين، لكنّه هذه المرّة يوسّع دائرة عمل وحدته، فينتقل خارج كيان الاحتلال، وتحديداً إلى بلجيكا، ومن ثم والأهم إلى لبنان

للعمل في مواجهة «حزب الله». ينجح دورون هذه المرّة في تخليص أحد المجندين الصهاينة من داخل «مخبئ» حزب الله في ضواحي بيروت كما لو أنَّ دخول معاقل أحد أقوى أعداء كيان الاحتلال هو بهذه السهولة! علماً أنّ الأجزاء السابقة قاربت الصراع بين جيش الاحتلال وبين حركَتي «حماس» والجهاد الإسلامي. يغوص المسلسل بشكل أعمق هذه المرّة في صراعٍ ضد أعداء الصهيوني كإيران و«حزب الله» بعدما قرّر دورون الابتعاد عن عالم الصراعات والأمن والقتل المعتاد في حياته بعد أحداث الجزء الأخير من المسلسل. سرعان ما تتعقّد الأمور مع اشتعال المواجهة وانتقالها إلى لبنان. يغوص المسلسل في الشارع اللبناني، ولكن على طريقة المسلسلات والأفلام الهوليوودية التي «تستسهل» الدخول إلى معاقل «العدو» والخروج منه بالسهولة ذاتها.

درامياً، يقدّم المسلسل وجبةً قاسية على المشاهد العربي المبدئي. في حال قرّر مشاهدة المسلسل، سيضعه الأخير أمام خيارين: «البطل» الصهيوني الذي يقدّمه العمل على أنّه «شهم»، و«عاطفي»، و«أخلاقي» يحمي «بلاده وشعبه»، وهناك «الأشرار» ذوو السلوك الشائن و«الإرهابيون» العرب والمسلمون الذين لا يتورعون عن أي شيء في سبيل «الوصول» إلى أهدافهم القذرة. نجد مثلاً في الأجزاء الأولى وليد (شادي مرعي) أحد ضباط المقاومة يقتل قائده وأحد أهم قادة المقاومة توفيق (هشام سليمان) من دون منطق أو سبب سوى أهدافه الصغيرة. وبعد قتله، يضمّه ويقبّله، معتبراً أن ذلك مخالفٌ لقلبه. نسرين (حنان هللو) زوجة توفيق، يظهرها المسلسل في حالة رفض لما يفعله زوجها، ولهذا النوع من الحياة معه حتى إنها تهدده بتركه والهروب مع أطفالها. هنا يظهر عدم فهم صنّاع العمل لحياة الفلسطينيين، خصوصاً أولئك في المقاومة، إذ إن عائلاتهم في المجمل تعرف حياتهم وتقبلها، لا بل تشجّع عليها مثل عائلات الحركة الفلسطينية الأسيرة كالسيدة أم جبر وشاح، أو عائلات الشهداء كأم نضال فرحات. ما يحدث مع نسرين يتكرّر مع علي الكرمي أستاذ توفيق الذي يعتبر بمثابة والده النضالي الذي يعطي معلومات أمنية مهمة للصهاينة في مقابل عملية جراحية مهمة لابنته؛ ما يدفع توفيق إلى قتله.

ولأن المسلسل هو «مسلسل هجومي» يقدّم الرواية الإسرائيلية للصراع، من البديهي أن نشرح الفكرة أكثر كي تتضح لمشاهديه. بداية يأتي صانعا العمل أسخاروف وراز بصفتهما «المهنية» لا كصنّاع دراما وميديا، بل بصفتهما ضابطين «قاتلين» خدما في جيش الاحتلال ساهما في عمليات قتلٍ ضد الفلسطينيين ضمن وحدة «دوفيدوفان» الصهيونية والمستعربين حكماً. هذا التواجد الذي قد يعتقد بعضهم بأنه أفاد العمل وأعطاه لمسةً واقعية، قدّم الرواية الصهيونية، وهما أعلنا صراحة أكثر من مرةً بأنهما يتبنّيان رواية «المؤسسة العسكرية الصهيونية». النقطة الثانية، أنّ لا وجهة نظر فلسطينية في ما يحدث. ثالثاً تأتي وجهة النظر الصهيونية هذه، متجاهلةً أن هناك احتلالاً أصلاً في فلسطين، حيث لا جدار فصل، ولا هدم منازل، ولا احتلال وحشياً كما هو في الواقع. الأهم من هذا كله طريقة تصوير المناطق الفلسطينية بأنّ لا حياة فيها، وتحديداً غزّة التي تصوَّر على أنّها مقبرة. أما الفلسطينيون، فهم «مخلوقات مخيفة وغريبة تعيش في أماكن لا تجرؤ إلا القوات الخاصة على المغامرة بدخولها» بحسب مقالة للكاتبة البريطانية أورلي نوري في تقرير نشره موقع «ميدل إيست آي. باختصار، هو مسلسل موجّه يقدّم الصراع من وجهة نظر صهيونية بحت. ورغم جميع محاولات صنّاعه أخبار الجميع بأنّهم «محايدون» و«ليسوا جزءاً من الصراع»، إلا أنّ مجرد تبنّيهم لوجهة نظر وحدة المستعربين وجنودها يعني أنهم جزء لا يتجزأ من الرواية الرسمية الصهيونية.

المدن

«نتفليكس»... صوابية سياسية ومغالطات فنية

2023/01/05

ليس غريباً على منصات البث التدفقي، وعلى رأسها شبكة نتفليكس الأميركية، سعيها في تسويق أعمالها الفنية، إلى طرح قضايا إنسانية تحابي الرأي العام الغربي، بما يتلاءم مع الخطاب السياسي والحقوقي السائد.

ورغم أنّها قضايا أساسية، تعكس واقعاً اجتماعياً وإنسانياً، فإنّها، في مضمونها، لا تعد نموذجاً أيديولوجياً تفرضه متطلبات السوق الفنية وتوجهاتها، بقدر ما تعد ظاهرة تسويقية تناسب معايير العرض والطلب. وقد شهدنا منذ سنوات التأثير الإعلامي الذي قادته حركة «مي تو» الحقوقية، حين ضغطت على شركات الإنتاج الأميركية، ودفعتها إلى تعديل بعض التفاصيل الخاصة بالمشاهد الجنسية، وتقليص دورها في الأعمال السينمائية والتلفزيونية.

ولعلّ تركيز الحملة التي قادتها الحركة، كان موجهاً بشكل كبير نحو منصة إتش بي أو، التي قدمت مسلسل «صراع العروش» أحد أكثر الأعمال احتواءً للمشاهد الإباحية. وبالفعل، نجحت الحملة في التأثير على عمل المنصة، ودفعتها إلى تغيير سياساتها الإنتاجية، والحد بشكل ملحوظ من اللقطات والمشاهد الجنسية. بدوره، انعكس هذا الأمر، تباعاً، على باقي منصات العرض الرقمية.

ومن هنا، ندرك حجم التغيير الذي وضع صناعة السينما والتلفزيون تحت وطأة المطالب الإنسانية والحضارية بشكل فعّال ومناسب. غير أنّ امتثال الفن للمطالب الحقوقية والإنسانية، لا يصح أن يكون مشروطاً بالمقاصد التسويقية، وإلّا سنفقد القيمة الفنية نفسها في أيّ عمل، حين تدّعي هذه المنصات المحاباة أو تستثمر بتلك القضايا، من دون وضع أي اعتبارات مهنية إبداعية لمجرد أنها

تخاطب حقوق الإنسان وحريته. وهذا ما سنراه في بعض الأعمال التي طرحتها شبكة نتفيلكس أخيراً.

في عام 2020، بثت المنصة الجزء الأول من المسلسل الخيالي Warrior Nun، الذي يتناول قصة مجموعة من الفتيات المقاتلات اللاتي ينضوين تحت راية الكنيسة للدفاع عن الأرض في وجه شياطين العالم الآخر.

تؤدي الممثلة البرتغالية الشابة، ألبا بابتيستا، دور البطولة الرئيسية. نتعرف خلال حلقات العمل إلى حياة الفتاة القادمة من الميتم الخاص بالكنيسة، وكيف عادت إلى الحياة بفضل سوار ذهبي سحري زُرع في جسدها بطريق الصدفة. تتابع الفتاة حياتها بكلّ شغف ودهشة، بعد أن قضت جزءاً منها في الميتم.

هكذا، ستلتقي بمجموعة صغيرة من المراهقين، وستقع في حب الشاب جي سي (إميليو ساكرايا). خلاصة موجزة لهذا العمل نستقي منها مفهوم المنصة ورؤيتها في تحويل العمل إلى قضية نسوية وجندرية في الموسم الثاني، الذي عرض قبل نحو شهر، في محاولة لتحسين القصة، ورفع مستوى المشاهدة بعد موسم أول متواضع في جميع معطياته، من قصة وإخراج وحبكة وشخصيات. وذلك من خلال التغيير المباشر والطارئ الذي اعتمدته «نتفليكس» في بداية الموسم الثاني؛ إذ قامت بتغيير الهوية الجنسية لبطلته الرئيسية، وتحويل بابتيستا من فتاة مغايرة الجنس إلى فتاة مثلية، من دون أن يكون هناك أيّ مبررات نفسية وسلوكية أو درامية حتى، تمهد لهذا التحول الطارئ والمفاجئ في هوية البطلة.

نسخة مطابقة نجدها في الجزء الثالث من مسلسل Emily in Paris، الذي انطلق عرضه أخيراً. وذلك من خلال شخصية كامي (كامي رازات)، صديقة البطلة الرئيسية في العمل إميلي (ليلي كولينز). في الموسم الأول، سنرى علاقة عاطفية تجمع بين كامي والشيف غابرييل (لوكاس برافو). مع تسلسل الأحداث، ستتعرف إميلي إلى كامي وتصبحان صديقتين مقربتين، في الوقت الذي سنشهد فيه ولادة علاقة عاطفية بين غابرييل وإميلي، من دون أن تعلم الأخيرة بأنّ حبيبها هو نفسه عشيق صديقتها. ينتهي الموسم الأول باكتشاف

كامي لهذه العلاقة. في الموسم الثاني نشهد عداوة بين كامي وإميلي وإصرار الأولى على التمسك بغابرييل. أما في الموسم الأخير، فسنشهد تحولاً جذرياً في شخصية كامي، وكيف أنّها تحولت من فتاة مغايرة الجنس إلى فتاة مثلية ستجمعها علاقة غرامية مع إحدى الفنانات التشكيليات، من دون أن يكون هناك أي تمهيد درامي أو مبرر نفسي وسلوكي كذلك.

هذه التحولات التي أقحمتها «نتفليكس» في سبيل إضفاء قيمة أكبر على العملين، مستغلة حساسية المسائل الحقوقية وأهميتها بين المجتمعات المدنية، أضفت واقعاً إنتاجياً مقايضاً على حساب المصداقية المهنية والفنية، من دون حسابٍ لمعايير العمل الجيد وتوازن عناصره التي أخلّت بها بصورة فجة.

الشرق الأوسط

«عولمة المشاهير»... صناعة تُروج لقيم تتجاوز «الخصوصية الثقافية»

2023/01/15

أسامة السعيد

برز خلال السنوات الأخيرة تيار متنامٍ لصناعة نماذج عالمية «عابرة للحدود» ومتجاوزة للاختلافات الثقافية بين المجتمعات المحلية. وبرغم وجود شخصيات ذات طابع عالمي في مختلف العصور، فإن دراسات إعلامية حديثة أظهرت أن «صناعة المشاهير» باتت عملية «أكثر تعقيداً»، وأن ما يسمى بـ«أيقنة المشاهير»، أي تحويل بعض الشخصيات المعروفة على نطاق عالمي إلى «أيقونات» تحظى بالشعبية والتأثير في مختلف أنحاء العالم، صار صناعة متكاملة تستخدم أدوات التواصل الاجتماعي من أجل «تحقيق أهداف تجارية وثقافية أكثر عمقاً».

ولفتت دراسات حديثة وخلاصات لأكاديميين مختصين تحدثوا لـ«الشرق الأوسط»، إلى أن هناك «محاولة لإعادة تقديم العولمة بوجه أكثر إنسانية»، وتحويل نماذج معروفة إلى «أيقونات عالمية»، مثل لاعبي كرة القدم، كالأرجنتيني ليونيل ميسي وكريستيانو رونالدو، أو لشخصيات ذات تأثير في عالم الاقتصاد الجديد، مثل إيلون ماسك (مالك «تويتر») ومارك زوكربيرغ (مؤسس «فيسبوك»)، أو حتى لفرق فنية مثل (PTS) وهو فريق كوري جنوبي بات ممثلاً لموجة عالمية للفن الكوري يتسع تأثيرها، وبخاصة في أوساط الشباب والمراهقين في مختلف أنحاء العالم، ولهم معجبون كثر في المنطقة العربية.

تحولات العولمة

وربطت دراسات حديثة منها دراسة نشرتها مؤسسة «كارنيجي» بأوروبا عام

2022 ـ تحت عنوان «إعادة توصيل العولمة» Rewiring Globalization وتضمنت إسهامات لمجموعة من الباحثين حول العالم ـ بين طبيعة العولمة التي قالت الدراسة إنها «تتغير»، وبين «تحول مركز الثقل العالمي بعيداً عن الغرب ونحو آسيا»، وخلصت الدراسة إلى أن الأنماط القديمة لتسويق العولمة مثل التغريب «تقترب من نهايتها».

ورغم تركيز الدراسة على العديد من الجوانب الاقتصادية والتقنية، فإنها أفسحت مجالاً للحديث عن الأبعاد الثقافية، فأشارت إلى أن السنوات الأخيرة «دفعت بأنظمة اقتصادية وسياسية وأنماط ثقافية أخرى إلى المقدمة، ولم تعد الرأسمالية العالمية رأسمالية غربية كبيرة، بل أصبحت ظاهرة عالمية أكثر تنوعاً»، الأمر الذي مهد السبيل أمام محاولة تقديم نماذج إنسانية مختلفة «لا تعبّر بالضرورة عن الثقافة الغربية كتهديد للهويات الوطنية وثقافات السكان الأصليين».

وخلصت الدراسة، إلى أن ما يشهده العالم الآن «ليس تراجعاً للعولمة، بل مرحلة جديدة في تلك العملية مع انضمام المزيد من اللاعبين»، وأن ما يجري «إصلاح للعولمة مع انتشار عدد المشاركين النشطين، حيث يأتي كل لاعب رئيسي جديد مع اهتماماته وأفكاره وأنماط سلوكه، والنتيجة هي المزيد من التنوع في العالم».

رغبة غير واعية

ويبدي الدكتور ماكس جراب، أستاذ الإعلام بجامعة ولاية يونغستاون بالولايات المتحدة، اتفاقاً مع الطرح القائل بأن العولمة باتت «تكتسي وجهاً مختلفاً»، ويشير إلى أن البشر في كل العصور كانوا يميلون إلى صناعة النماذج أو الرموز التي يحاولون التشبه بها أو متابعتها. وقد برزت في عصور سابقة أمثلة فكرية أو دينية أو حتى سياسية وعلمية عالمية. وبموازاة ذلك، كانت هناك أيضاً رموز فنية ورياضية استطاعت استقطاب الاهتمام العالمي.

ويضيف جراب لـ«الشرق الأوسط»، أن صناعة الرموز أو من يصفهم بـ«آلهة عصر السوشيال ميديا»، تستغل رغبة غير واعية في الجنس البشري لمتابعة أي شيء يبدو أفضل أو أعظم أو أغنى أو أقوى. ويتابع أن الإنسان يميل إلى الإعجاب أو الحقد على من هو أفضل منه في شيء ما، لكنه في كل الأحوال، وأياً كانت الدوافع، سيلجأ إلى تتبع أخبار ذلك المثال أو الرمز، وهو ما يلبي بالتبعية متطلبات وسائل الإعلام في العصر الحديث، وبخاصة وسائل التواصل الاجتماعي التي تحتاج إلى نماذج أكثر جاذبية، وقريبة من الناس، وأحياناً مثيرة للجدل كي تحقق قدراً أكبر من المتابعة.

وحول أسباب الاختلاف بين طبيعة الرموز المصنوعة في العصر الراهن، ولماذا يتركز الأمر على بعض المشاهير من الأغنياء والرياضيين والفرق الفنية، ولماذا لا تكون هناك رموز أخرى كالعلماء والأدباء، يقول جراب إن الأمر يرتبط بتحقيق مصالح من يصنعون شهرة تلك الرموز، أو من يقومون على صناعة المثال (Idolization)، وهي في الأساس شركات التسويق والعلاقات العامة، والعلامات التجارية الكبرى، والمنصات الإعلامية ذات التأثير.

ويضيف أن معظم الرموز التي باتت تستقطب الأضواء حالياً هم الرياضيون الأعلى سعراً، أبطال تلفزيون الواقع، مقدمو البرامج التلفزيونية، رواد الأعمال الذين يحققون ثروات هائلة في زمن قصير، ولا بد لمن يدخل في هذه القائمة أن تكون لديه قصة ما ليرويها، وأن تكون حياته مليئة بتفاصيل درامية، أو يقدم على أفعال وأقوال تضمن له البقاء طويلاً تحت الأضواء، حتى يستمر الناس في جلبهم إلى بيوتهم عبر شاشات التلفزيون والهواتف الذكية.

ويشير أستاذ الإعلام بجامعة ولاية يونغستاون إلى أنه في كثير من الأحيان، يحمل جمهور المتابعين لهذه النماذج الكثير من الحب والاهتمام، لكن هذا الجمهور لا يتورع أيضاً عن استخدام تلك النماذج كمادة ثرية للشائعات والقيل والقال، وربما هذا أيضاً ما يجعل من تلك النماذج أكثر جاذبية للمنصات الإعلامية بشتى صورها، وبخاصة الرقمية منها، بينما الشخصيات

العلمية أو الفكرية لن تكون محل اهتمام سوى لنخب محدودة من الجمهور، ولن تحتوي حياتها على تفاصيل مثيرة للاهتمام تستقطب جمهوراً عالمياً ينتمي لخلفيات متباينة.

«نمذجة» المشاهير

الأمر إذن يتجاوز مفهوم «الجاذبية الشخصية»، أو حتى ترويج قصص النجاح، فهناك اختيار عمدي لتلك الشخصيات التي تتصدر الاهتمام العالمي، وهو ما يراه الدكتور عادل صالح، أستاذ الإعلام، ووكيل كلية الإعلام بالجامعة البريطانية في مصر، بات «يمثل استثماراً سياسياً واقتصادياً وثقافياً»، لافتاً إلى بروز نماذج أكثر تعبيراً عن أولويات «الاقتصاد الجديد» المتجسد في نجوم الرياضة عموماً وكرة القدم على وجه الخصوص، ورواد صناعة التكنولوجيا في العالم وصناعة موجة «اقتصاد المعلومات». يضاف إليها التركيز على قطاعات ذات جاذبية عالمية مثل السيارات والموضة، وكلها مجالات تخدم اتجاه مؤسسات صناعة المحتوى في العالم، وفي القلب منها منصات التواصل الاجتماعي القائمة على الربحية.

ويعتبر صالح في تصريحاته لـ«الشرق الأوسط» أن ترويج «الأيقونات العالمية» يمكن أن يكون «محاولة لترويج عولمة أكثر مرونة وإنسانية»، لافتاً إلى أن ذلك يمكن أن يكون «إيجابياً لمنتجي تلك النماذج، وسلبياً لمستهلكيها»، خاصة إذا كانت تلك النماذج تحمل قيماً ثقافية وأنماطاً سلوكية مغايرة لمجتمع المستهلكين، وهو ما يضاعف من أهمية حماية «الخصوصية الثقافية» رغم ما يواجه هذا المفهوم من تحديات خاصة في المجتمعات العربية والإسلامية التي تواجه تدفقاً معلوماتياً غير متوازن، وزادته منصات التواصل الاجتماعي اختلالاً وتأثيراً.

ويستشهد صالح في هذا الشأن بصعود ما يسمى بموجة الـ«K_ pop» وهو مصطلح يشير إلى الموسيقى الكورية الجنوبية، وقد حققت نجاحاً لافتاً، وحضوراً

تجاوز حدود الدولة الآسيوية الصغيرة، وبات يجتذب اهتماماً عالمياً واسعاً. ويوضح أن صناعة شهرة النموذج الكوري الجنوبي، ومنه فريق (PTS) هو «عملية ممنهجة وسابقة التجهيز ومستثمرة اقتصادياً وسياسياً»، وأن الهدف من ورائها هو «اقتحام أسواق العالم».

وتعزز هذا الرأي دراسة حديثة نشرها كيونغ يون، الباحث الكوري الجنوبي المتخصص في الدراسات الثقافية بجامعة كولومبيا البريطانية، ضمن دليل «روتليدج» للتعددية القومية الآسيوية الصادر مطلع العام الماضي تحت عنوان K ـ POP TRANS_NATIONALISM أي «الفنون الكورية عابرة القوميات». إذ أشارت الدراسة إلى أن ما بات يُعرف بـ«K ـ pop» صار يمثل «نظاماً يجسد الإنتاج والاستهلاك العابر للحدود، ويعكس الرغبة الوطنية في تجاوز النطاق الصوتي المحلي».

ورصدت الدراسة أنه على مدى السنوات الخمس والعشرين الماضية، وسّعت صناعة الموسيقى في كوريا الجنوبية أسواقها الخارجية بسرعة. ووفقاً لإحصاءات حكومية، فقد ارتفعت صادرات الموسيقى هناك إلى 564 مليون دولار في 2018 من 8.6 مليون في 1998 بزيادة 65.5 مرة خلال العقدين الأخيرين. إلا أن أستاذ الدراسات الثقافية يخلص إلى أن «الأكثر أهمية هو التأثير الثقافي العالمي لـ(كي بوب)، والذي يتجاوز بكثير أرقام السوق الرسمية».

بناء «قطيع عالمي»

وترى الدكتور نيرمين الأزرق، أستاذة الإعلام، ورئيس الشعبة الإنجليزية بكلية الإعلام جامعة القاهرة، أن صناعة النجم والبطل، وكذلك صناعة العمل الذي يتماهى مع جميع أو أغلب الأفراد والمواطنين في الدول المختلفة والقادر على لفت انتباههم بقوة، وتبني قيم وسلوكيات أو حتى نمط استهلاك وحياة ذلك الشخص، تأتي ضمن ما بات يُعرف بـ«العولمة الإعلامية».

وتضيف أستاذة الإعلام بجامعة القاهرة في تصريحاتها لـ«الشرق الأوسط» أن

هناك الكثير من الدراسات الإعلامية في الفترة الأخيرة تؤكد أن معظم أبناء المرحلة السنية الواحدة في مناطق متباينة سياسياً واقتصادياً وثقافياً من العالم، يقبلون على فعل الشيء نفسه، ولعب نفس الألعاب الإلكترونية، ومشاهدة ومتابعة نفس اللاعبين الدوليين والفرق الموسيقية نفسها، وهو ما «يعكس حالة من التبعية أو التقليد أو الإغراق في النقل من قبل الإعلام المحلي في دول كثيرة».

وترى نيرمين الأزرق أنه بموازاة جاذبية محتوى منصات التواصل الاجتماعي، فإن الإعلام المحلي «لا يقدم ما يمكّنَه من مواجهة أو منافسة ما يطرح على الساحة الدولية»، الأمر الذي يدفع أولئك المستخدمين إلى استهلاك ما تقدمه لهم تلك المنصات من نماذج عابرة للحدود والثقافات، وهو ما يعطيها تأثيراً أكبر في نقل ثقافة وقيم العولمة الساعية إلى تنميط البشر، وتكريس فكرة «القطيع العالمي»، بدلاً من احترام التنوع والاختلافات الثقافية.

قنطرة

سفاح بإيران
اقترف جرم قتل بائعات هوى باسم الرب
2023/02/24

أندرياس كيلب

ترجمة: رائد الباش

فيلم المخرج الإيراني علي عباسي يروي قصة سفاح حقيقية «عنكبوت قاتل» اسمه سعيد قتل بائعات هوى عديدات بمدينة مشهد الإيرانية. أندرياس كيلب شاهد الفيلم ويراه مثيرا للاهتمام رغم ملاحظته تعثرا إخراجيا بنهايته.

يبدأ فيلم «عنكبوت مقدَّس» بحوار يبدو وكأنَّه تعليق على الاحتجاجات الجماهيرية 2022 / 2023 في إيران. وهذا الحوار يدور بين المراسلة الصحفية آريزو وموظف فندق: «رجاءً غطِّ شعرك». – «هذا ليس من شأنك». – «ولكن شرطة الآداب...». – «اهتم أنتَ بأشيائك الخاصة».

لقد قيل عن الكردية الإيرانية مهسا أميني، التي أشعل موتها على يدَّ شرطة الآداب في شهر أيلول/سبتمبر 2022 الاحتجاجات في إيران – إنَّها لم تكن محجَّبة بشكل صحيح. ولكن مع ذلك فسيكون من المبالغة أن نعزو موهبة التنبُّؤ إلى فيلم «عنكبوت مقدَّس»، الذي تم إنتاجه في الصيف الماضي 2022. يعتبر الظلم، الذي تخرج ضدَّه حركة الاحتجاجات إلى الشوارع في إيران، جزءًا من نسيج المجتمع، الذي يصفه هذا الفيلم.

ويقدِّم هذا الحوار في الوقت نفسه وصفًا مدَّته ثوانٍ لبطلة الفيلم آريزو رحيمي. لقد سافرت من طهران من أجل إعداد تقرير صحفي عن جرائم سفَّاح في مدينة مشهد الغنية بالمزارات الدينية والتي تعتبر ثاني أكبر مدينة إيرانية. تعمل آريزو صحفية مستقلة منذ أن اشتكت على رئيس تحرير الصحيفة التي

كانت موظفة فيها بعد تحرُّشه بها جنسيًا.

ولكن الشائعات المنتشرة حولها في قطاع الصحافة تقول شيئًا آخر يفيد بأنَّ هناك «شيئًا ما قد حدث» بينها وبين رئيسها، مثلما يهمس لها المراسل الصحفي المحلي شريفي، الذي أتت آريزو لسؤاله من أجل بحثها عن معلومات لعملها الصحفي.

تواجه الصحفية آريزو هذه النظرة الذكورية ووتصدَّى لها ليس فقط في بهو الفندق، بل في كلّ مكان من حولها، وكذلك في عملها وحتى في قسم الشرطة، التي يزورها رئيسه في غرفتها خلال المساء ويضايقها قبل أن تتخلص منه بصعوبة. لقد أدَّت دور آريزو الممثِّلة الإيرانية زهرا أمير إبراهيمي، التي أصبحت هي نفسها في عام 2006 ضحية من ضحايا فضيحة الهاشتاغ «أنا أيضًا» وذلك عندما زُعِم أنَّ لها شريطًا إباحيًا منتشرًا على الإنترنت.

وبدلًا من ذهابها إلى السجن في إيران، هربت زهرا أمير إبراهيمي إلى باريس، حيث لا تزال تعيش فيها حتى اليوم. وحصلت في شهر أيَّار/مايو من العام الماضي (2022) على جائزة مهرجان كان السينمائي لأفضل ممثِّلة عن دورها في هذا الفيلم.

يعثر القاتل السفَّاح سعيد في شوارع مشهد على ضحاياه. ويبدأ الفيلم بواحدة من جرائمه. نشاهد امرأة شابة تُودِّع طفلها في أحد الأحياء الفقيرة بعد أن تتزيَّن وتضع مساحيق التجميل وتغطِّي رأسها بحجاب ملوَّن ثم تقف منتظرة على جانب الطريق.

ونشاهدها وهي واقفة مع اثنين من زبائنها، رجلين يكيلان لها الشتائم والإهانات، ثم تركب على دراجة نارية مع الرجل الثالث. وهو سعيد، الذي يأخذها إلى عمارة نصف مكتملة، حيث يلقيها على الأرض ويخنقها بحجابها. وتعرض الكاميرا لقطة مقرَّبة لوجه القتيلة المشوَّه بالخوف.

ومثل هذه اللقطات أَلحَقت بفيلم «عنكبوت مقدَّس» في عرضه الأوَّل في مهرجان كان السينمائي تهمة الإفراط في عرض العنف. ولكن العنف في الواقع حاضر

حضورًا تامًا في هذه القصة: في العلاقات بين المومسات وزبائنهن وفي نظرات الرجال لآريزو وفي الأحياء الفقيرة المعروفة بكثرة المدمنين على المخدِّرات فيها بمدينة مشهد.

ويعاني القاتل نفسه من صدمة نفسية بسبب خدمته لسنين على الخطوط الأمامية في الحرب العراقية الإيرانية: فعندما تسقط على رأس سعيد بالخطأ كرة قدم أثناء قيامة بنزهة في الحديقة، تنهار أعصابه ويبكي مثل طفل. سيكون من غير المتناسق من الناحية الجمالية إخفاء منظر جرائمه. والسؤال هو ماذا يعني ذلك بالنسبة لفيلم لا يريد فقط أن يكون فيلم جريمة وإثارة بل فيلمًا يعرض صورة المجتمع أيضًا.

نظرة متأثِّرة بأسلوب السينما الغربية

لقد سافر مخرج الفيلم علي عباسي من إيران إلى أوروبا من أجل الدراسة في عام 2002 ولم يعد. وتخرَّج من معهد السينما في كوبنهاغن. وكان أوَّل عمل من إخراجه فيلم رعب، أمَّا فيلمه الروائي الثاني الحدود Border، الذي تم تقديمه كفيلم دنماركي لجائزة الأوسكار لأفضل الأفلام الأجنبية، فيدور حول ضابطة مشوَّهة تعمل في جمارك المطار وتكتشف أنَّ بإمكانها تغيير جنسها.

أمَّا في فيلم علي عباسي «عنكبوت مقدَّس» فيمكن القول إنَّ فيه نظرة متأثِّرة بأسلوب السينما الغربية تواجه واقعًا غير مناسب للأفلام النوعية. ولكن هذا سيكون على أكثر تقدير نصف الحقيقة، لأنَّ فيلم «عنكبوت مقدَّس» حريص كثيرًا على ألَّا يكون فيلمًا نوعيًا، بل إنَّ علي عباسي يريد إعادة بناء واقع إيران من مسافة تمتد لعشرين عامًا وفي الوقت نفسه جعله متوافقًا مع أساليب السرد الحديثة، وهذا الجهد المزدوج هو الذي يرهقه ويجعله يتعثَّر في النهاية.

لقد شهدت إيران في الواقع وجود قاتل سفَّاح في مدينة مشهد في عام 2001. هو سعيد حنايى «العنكبوت القاتل»، الذي أُطلق عليه هذا الاسم لأنَّه غالبًا ما كان يستدرج ضحاياه إلى منزله، حيث خنق ستة عشر امرأة قبل أن يتم

القبض عليه. لقد قال سعيد حنايى (سعيد حنايي) في المحكمة إنَّه يريد تطهير مدينته من الفسق والفساد بعد أن تم الخلط بين زوجته وبائعات الهوى.

وطالب المتشدِّدون والمعلقون المتدينون في الصحف المحافظة بإطلاق سراحه. وفي النهاية، تم الحكم على سعيد حنايى بالإعدام وأُعدم في شهر نيسان/أبريل 2002. وقد تم في العام نفسه إصدار فيلم وثائقي سُمح فيه لسعيد حنايى بالتعبير عن آرائه في حوار معه.

الكاميرا لا تعرف أين يجب عليها التركيز

ما لم يكن موجودًا حينها هو وجود المراسلة الصحفية، التي أوصلت سعيد حنايى إلى حبل المشنقة. فقد أوجد شخصيتها المخرجُ علي عباسي لكي لا يضطر إلى جعل القاتل هو بطل فيلمه ولكي يُقدِّم لنا شخصية تستحق التعاطف معها. وهذا يسير بشكل جيد لبعض الوقت لأنَّ الممثِّلة زهرا أمير إبراهيمي تسيطر بسهولة على كل موقف تظهر فيه.

ولكنه ينتهي بشكل خاطئ على المدى الطويل، وذلك لأنَّ فيلم «عنكبوت مقدس» يعرض عالم سعيد حنايى وقيوده ورغباته وكراهيته. وليس صدفةً أن يظهر هذا الفشل في المشهد الذي يلتقي فيه الاثنان، سعيد وآريزو.

وذلك لأنَّ الدراما النوعية الكلاسيكية من شأنها أن تتذوَّق كلّ صغيرة وكبيرة في اللقاء بين البطلة والشرير. ولكن هذا يتناقض مع جدِّية الفيلم. ومع ذلك فإنَّ المخرج علي عباسي لا يريد أن ينتهي بحث الصحفية عن القاتل من دون إحداث تأثير.

وهكذا فهو يحاول إنقاذ ذلك في شجار فاتر فشل في عرضه من الناحية الجمالية سواء كفيلم جريمة وإثارة أو كفيلم شبه وثائقي. وحتى الكاميرا لا تعود تعرف خلال ذلك أين يجب عليها التركيز. وبعد هذا المشهد نكاد لا نشاهد الممثِّلة زهرا أمير إبراهيمي مرة أخرى على أية حال. فبقية القصة مخصَّصة للقاتل وحده.

ومع ذلك فإنَّ فيلم «عنكبوت مقدَّس» يعرض صورة واسعة: منظر المدينة من أعلى في الليل. يقول علي عباسي إنَّه أعاد اكتشاف شبكة عنكبوت هذا السفَّاح في أنماط الضوء بمدينة مشهد. وفيلمه هو محاولة لعكس دراما بلد في ملامح القصة. وكونه في النهاية لم ينجح في ذلك فهذا لا يجعل فيلمه أقل إثارة للاهتمام. وحتى الاحتجاجات في شوارع إيران لها نمط يجب قراءته.

المدن

«عنكبوت مقدّس» لعلي عبّاسي.. الفيلم كإدانة

2023/02/11

محمد صبحي

بفضل الإلحاح (والنجاح)، أصبحت أفلام القتلة المتسلسلين نوعاً سينمائياً في حد ذاتها. بعضها خيال خالص (أو بالكاد)، مثل «صمت الحملان» (1991، جوناثان ديم)، وأخرى، مثل «زودياك» (2000، ديفيد فينشر)، تستفيد من حالات مأخوذة من الواقع، والتي، كما صار معروفاً، غالباً ما تتفوّق على الخيال السيمائي من حيث الإبداع والوحشية. ضمن هذا النوع الفرعي الذي يتنقل بحرية بين التحقيق البوليسي والفظاعة الإنسانية، يتمتّع فيلم «عنكبوت مقدّس» ببعض الميزات التي تميّزه عن البقية.

البداية من أصله، فهو إنتاج أوروبي آسيوي مشترك من كتابة وإخراج الإيراني الدنماركي، علي عبّاسي، اختارته الدنمارك لتمثيلها في جوائز الأوسكار 2023. تدور أحداثه في إيران في بداية القرن الحادي والعشرين، وتستند إلى قضية سعيد هنائي، الرجل الذي بين العامين 2000 و2001، قتل 16 امرأة في مشهد، أقدس مدينة إيرانية، مُبرّراً جرائمه بـ«تطهير المدينة من الدنس».

عبّاسي، المعروف عالمياً بفضل فيلمه الرائع والغريب «حدّ» (2018)، يستخدم قصة سعيد (يغيّر الفيلم اسمه الأخير إلى عظيمي) لرسم جدارية تنسجم مع المناخ الاجتماعي للعقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، أكثر منها مع تلك التي وقعت خلالها الأحداث الفعلية. وهذا يعني أنه فيلم يسعى لفضح وإدانة الظروف المعيشية للنساء في البلدان التي تسودها الثقافة الإسلامية الراديكالية. نحن هنا نتعامل مع إيران، عدو الغرب، لكن الظروف يمكن أن تتشابه مع دول أخرى «صديقة» مثل السعودية أو مصر. وبهذه الطريقة، لا يعمل

«عنكبوت مقدّس» فقط كفيلم بوليسي (أفضل ما في الفيلم يأتي من هذا الخّط تحديداً، حيث تضطلع بدور المحقق صحافية تلعب دورها باقتدارالممثلة الإيرانية المغضوب عليها زار أمير إبراهيمي، الحائزة على جائزة أفضل ممثلة من مهرجان كانّ السينمائي)، وإنما أيضاً كبيان سياسي واجتماعي.

لا يتعلق الأمر هنا باكتشاف القاتل الذي يعرفه المُشاهد منذ الدقائق الأولى من الفيلم. على أي حال، فالتشويق مدعوم بالتحقيق الذي تجريه الصحافية والتي تواجه، لمجّرد كونها امرأة، كل العقبات الممكن تخيّلها في مجتمع ثيوقراطي وكاره للنساء. في الواقع، من الواضح منذ البداية أن المحرّك الرئيسي للقاتل (عامل بناء ومحارب قديم لا يغفر لنفسه خطيئة بقائه على قيد الحياة بدلاً من الموت شهيداً) هو الحاجة إلى «تطهير» المدينة المقدسة من النساء اللواتي يبعن أجسادهن ويتعاطين المخدرات في مكانٍ ليس ببعيد عن المكان الذي يمدح فيه الرجال ـ الرجال أنفسهم الذين هم عملائه – الإمام الرضا ويتضرعون إلى الله.

ما تفعله الصحافية ليس أكثر من تأكيد ما افترضته بالفعل: أن الشرطة المحلية لا تحقّق في القضية بجدّية لأن لا مشكلة لديها مع مريض نفسي طليق يقوم بالعمل القذر نيابة عنها، وأن السلطات الدينية لا تعتقد أن الأمر سيء لهذه الدرجة، ففي النهاية تستحق النسوة الضالات جزاءً على فسقهن وضلالهن. لكن المفاجأة الأكبر التي ستقابلها الصحافية أن جزءاً كبيراً من المجتمع سيحوّل القاتل إلى بطل.

أتمّ عبّاسي فيلمه قبل مقتل مهسا أميني، الشابّة الكردية التي راحت ضحية «عدم ارتدائها ملابسها بالشكل اللائق» وفقاً لشرطة الأخلاق الإيرانية، ومنها اندلعت حركة احتجاجية واسعة داخل إيران ضد ديكتاتورية نظام الملالي. إلا أن أساس حبكة فيلمه يتأسّس على تحيّز السلطات ضد النساء ومن ثمّ تساهلها في الوصول والكشف عن القاتل الطليق، الأمر الذي يستدعي وصول صحافية من طهران للتحقيق بنفسها بل وحتى استدراج القاتل لارتكاب جريمة

تكون هي ضحيتها. في طهران، تعيّن على الصحافية التعامل مع رئيس تحرير متحرّش. في مَشهد، تقابل ضابط شرطة متعطّشاً يراها صيداً سهلاً. بصفتها امرأة غير متزوجة، رفض موظف استقبال الفندق الحجز لها في البداية. بالكاد تستطيع أن تخطو خطوة من دون توبيخها أو مضايقتها.

بطريقة ما، يشكّل «عنكبوت مقدّس» نسخة إيرانية من «تاكسي درايفر» (1976، مارتن سكورسيزي)، لأن المحافظين والشرطة هنا يتعاطفون مع فظائع ترتكب بحق النساء «الفاسقات». ترافيس بيكل يتحوّل سعيد عظيمي في النسخة الإيرانية. غير أن العنف هنا فائض وواضح. امرأة تُخنق بحجابها حتى تموت. عيون مفتوحة على مصراعيها. امرأة أخرى تضرَب حتى تغرق في دمائها وتلفظ الأنفاس. كل هذا في لقطات مقرّبة تأخذ وقتها على الشاشة. تتراكم الفظائع في «عنكبوت مقدّس». العنف ضد المرأة الإيرانية شرس وقاتم، لكن تصويره هنا مباشر وصادم.

في الواقع، العنف في هذه القصة منتشر في كل مكان، في العلاقات بين المومسات وزبائنهن، في نظرة الرجال إلى الصحافية، في الأحياء الفقيرة لمدينة مشهد ومدمنيها. القاتل نفسه يعاني «تروما» من سنوات الخدمة في الخطوط الأمامية أثناء الحرب بين إيران والعراق. لذلك، فإن إخفاء أفعاله سيكون غير متسق من الناحية الجمالية. والمسألة هنا، بحسب عبّاسي الذي دافع عن اختياراته في مقابلة أجراها مع «المدن»، تتعلّق بضرورة عدم إشاحة النظر بعيداً وإظهار العنف ضد النساء الإيرانيات. بعبارة أخرى، لا يريد عبّاسي مجرد إنجاز فيلم تشويقي عن قاتل متسلسل، وإنما أيضاً صورة للمجتمع الذي أفرزه.

من خلال هذا المسار وتلك الرغبة في الإدلاء ببيان، يصبح الفيلم واضحاً قليلاً في نيّته الكشف عن بعض الانحرافات التي تتعرّض لها النساء الإيرانيات داخل منظومة الحكم الإسلامي. بطبيعة الحال، فإن مقتل مهسا أميني، الواقع بعد بضعة أشهر من العرض الأول للفيلم في المسابقة الرسمية لمهرجان «كانّ»، يقول شيئاً عن راهنية الفيلم وقدرته على كشف صورة معيّنة للواقع. إلا أنه في الوقت

ذاته، وبسبب الإلحاح على تظهير تلك الصورة (بما يتضمنه ذلك من مباشرة وفجاجة أحياناً)، يقع الفيلم فريسة لهذه الضرورة الخطابية، المُبرَّرة كعمل سياسي، لكن الأمر ينتهي بها إلى إضعاف قيمته السينمائية. حتى إنه يقع في بعض التجاوزات التي يمكن التحقق منها بسهولة من خلال مشاهدة الفيلم الوثائقي «ثم جاء عنكبوت» (2003، مازيار بهاري)، والذي يتضمّن شهادات مباشرة للقاتل وزوجته وابنه المراهق.

(❖) يُعرض حالياً في بريطانيا ودول أوروبية أخرى. ويُعرض قريباً على نطاق عالمي عبر منصة «Mubi».

الميادين

مسلسل «معاوية» عمل فنيّ أم عبث سياسيّ؟

2023/02/26

محمد جرادات

ليس ثمة إشكال في الدراما التاريخية إذا انطلقت من حاضنة التأليف التاريخي وفق أصوله لتخدم غاية علمية أو سياسية وفق أولويات الأمة وتحدياتها الراهنة، لكن التخصيص السعودي لتاريخ معاوية مغزى لا تخطئه عين متابع، وهو تعميق الشرخ القائم حتى أبعد مدى.

تتلبّس السياسةُ الفنَّ؛ ما إن تقترب منه، حتى تنهش أنيابها أضلعه، فكيف إذا خاض الفن في متاهة التاريخ عبر نافذة فتنةٍ أكلت الأخضر واليابس في وقتها، وما زالت مفاعيلها ترى حتى وقتنا الراهن، وقد تاهت الأمة عبر كل عصورها، بين ما هو ديني وتاريخي؟

ما إن تم الإعلان عن مشروع مسلسل «معاوية بن أبي سفيان» (60هـ) من قبل مجموعة «أم بي سي»، المموّلة سعودياً، ليتم عرضه في شهر رمضان، حتى تصَدَّر الخلاف حوله مختلف الميادين الإعلامية والثقافية والفنية، بل جميع مواقع التواصل الاجتماعي، فمَن من المسلمين وغير المسلمين لا يعي مدى جدليّة الخوض في تاريخ معاوية، حتى ضمن حلقة بحثية، فكيف الحال في عمل فنّي دراميّ تم ربطه بقدسية شهر رمضان، الذي يُفترض أن يكون مناسبة جامعة للأمة؟!

أنفقت الـ «أم بي سي» 100 مليون دولار في إنتاج مسلسل «معاوية»، واستخدمت كاتباً (إعلامي سابق) لم يسبق له العمل في التأليف، إلا في تحرير جريدة «اليوم السابع» المصرية، أو المشاركة كممثل في أعمال قليلة، فإذا به عبر مسلسل «معاوية» يتحوّل إلى مؤلف، رغم أنه لم يسبق أن تعامل مع أصول الرواية التاريخية، في ضبط متنها أو التحقق من أسانيد رواتها وطرق تخريجها، وتعدد مدارسها.

ليس ثمة إشكال في الدراما التاريخية إذا انطلقت من حاضنة التأليف التاريخي وفق أصوله، وجاءت لتخدم غاية علمية أو سياسية وفق أولويات الأمة وتحدياتها الراهنة، ورغم عدم مشاهدة أيّ من حلقات مسلسل «معاوية» حتى الآن، لكن هذا التخصيص السعودي لتاريخ معاوية، من منظومة نشطت في تمزيق التضامن السياسي للأمة، وتقف خلفها مرجعية فكرية تستسهل تكفير الآخر الإسلامي، فإن لهذا التخصيص مغزى لا تخطئه عين متابع، في تعميق الشرخ القائم حتى أبعد مدى.

عشرون عاماً على ولاية الشام، ثم عشرون أخرى خليفة، ليس في أربعين معاوية هذه من مساحة تُجمع عليها الأمة، إلا ما قلّ مما يمكن اعتباره مادة تاريخية تعبوية في خدمة حاضر الأمة ومستقبلها، فكيف لهذا المسلسل أن يعطي مساحة إيجابية جامعة لجيل إسلامي يصوم نهاره ويقوم ليله، ثم يتحف سهراته الرمضانية مع علم إسلاميّ تاريخي، يراه كثيرون صحابياً وفاتحاً وكاتباً للوحي، فإذا به مع كل ما سبق مما يجتمع في مخيلة العامة وبعض الخاصة، يجعل الخلافة الراشدة ملكاً وراثياً بالسيف، فيورث ولده، قلائد خلافة امتدت قبل حكمه من أفغانستان شرقاً حتى ليبيا غرباً، ومن صنعاء جنوباً حتى أذربيجان شمالاً، لتستقر في قبضته، ثلاث سنوات، خاض فيها السيف حتى آخر رمق.

يفاخر منتج مسلسل «معاوية» بكون هذا العمل حقيقة تاريخية، والتاريخ يغص بشتى الروايات والأقاصيص، ولا يمكن تلمّس هذه الحقيقة عبر وضع اليد على الروايات المشهورة، ولا الروايات المرغوبة، ولكنه البحث وفق ما أجمعت عليه مدارس التاريخ، حتى صار بديهة ومفصلاً لا يختلف عليه اثنان، بما يخلص إلى حقيقة تاريخية لا يجادل فيها دارس علم، وهذا ممكن ومتوفر في مصادرنا التاريخية، وليس مجرد الرواية عند الطبري أو البلاذري أو اليعقوبي، فإن هؤلاء وغيرهم قد رووا ولم يجزموا بصحة كل ما رووه، إنما تركوا لنا ضرورة البحث في المادة التي رووها وفق قواعد علمية باتت معروفة.

يقوم علم التاريخ على أسس بحثية وفق صدق أسانيد الرواة وتسلسلهم من دون انقطاع، ووفق ضبط متن الرواية ونصها، من حيث تناغمها مع الأحداث التاريخية الثابتة قطعاً في القرآن وتواتر السنّة وكتب الأدب واللغة والأنساب والجغرافيا، وهي نصوص يقبلها العقل السويّ البعيد عن الهوى، ولا تنقضها بديهيات التاريخ ولا أصول العقل، أو تكون الحقيقة التاريخية وفق ما تمخضت عنه نتائج الأحداث، وما استقر منها في البنيان أو الأعمال، مما يتسق مع تسلسل التاريخ في مفاصله المجمع عليها بين شتى مدارسه.

يأتي مسلسل «معاوية» مع تراجع السعار المذهبي، الذي ساد عالمنا الإسلامي طوال عقد مضى من الاحتراب، فهل يهدف هذا العمل إلى تجريب طريقة أخرى في تسعير الخلاف، خاصة أن أحداث المسلسل تدور بالضرورة حول الصراع الذي اشتعل منذ اغتيال الخليفة عثمان بن عفان، حتى ملحمة الطف في كربلاء، مروراً بواقعة صفين وغيرها من الوقائع والصراعات، التي احتل فيها معاوية دوراً محورياً، فهل يمكننا تخيّل أن ينحى هذا العمل الدرامي منحى التحقيق العلمي في تناول هذه الأحداث؟

يرجح أن يكتفي مسلسل «معاوية» بما أورده الطبري عن الراوي سيف بن عمر التميمي، ونعلم أن الطبري نقل عن عدة رواة في كل واقعة، بكل أمانة علمية، ليغطي كامل روايات المدارس التاريخية، ولكن الماكينة السعودية عبر مرجعيتها في الفتوى والجامعات والمراكز البحثية ودور النشر، أوغلت في النقل عن سيف بن عمر دون غيره، لأنه يقدّم الأحداث وفق تسلسل يناسب ما تواطأت عليه هذه الماكينة، بخلفيتها السياسية كعائلة تحكم بالوراثة والاستبداد، رغم إجماع مختلف تراجم الرجال المعتمدة في علم الجرح والتعديل على اعتبار هذا الراوي كاذباً، بل زنديقاً يختلق الأحداث من مخيلته.

أمام هذا الخبث الدراميّ المخبأ لشهر رمضان، ما هو السبيل المرجو في احتواء تداعياته الفكرية والنفسية على مستوى العامة وأصحاب الأهواء ومتّبعي المشاريع الخبيثة؟ هل يكون بإصدار عمل دراميّ حادّ يعاكسه، ولكنه يجاريه في

الطريقة، بِنيّة الانتقام الثأري، مثل إصدار مسلسل عن أبي لؤلؤة كما يتردد؟ أو النأي السلبي عبر تجنب الخوض في الأمر برمته؟

إن الرد على مسلسل «معاوية» بمسلسل مقابل، يحقق كامل أهداف العبث السياسي للجهة الراعية له، وهي غاية لا تخفى في دفع الأمة نحو مزيد من الاحتراب، خاصة أن منظومة هذه الأعمال، بما فيها المتحفزة للرد، لا تقف على الحقيقة التاريخية، ولا تنتج أعمالها ضمن أولويات بحثية ولا علمية، إنما هي تجاري مصالحها وما تدغدغ به عواطف عوامها، وما ينتج اصطفافات حادة قابلة لإدامة الصراع.

لم يعد تيار الزيف يلعب وحيداً في ميدان المعرفة، بكل تجلياتها السياسية، وبات هناك لاعبون يمتلكون كل أدوات المعرفة وتسخيرها في تعزيز الوعي التاريخي، وتنزيلها في صراعات الأمة مع أعدائها الحقيقيين، ولئن كان العمل الدرامي غير مؤهل لمعالجة الصراعات الحساسة في تاريخنا الإسلامي، حتى من زاوية الحقيقة التاريخية، نظراً إلى التداخل بين ما هو ديني وتاريخي في وعينا حتى كباحثين، بما يصعب تفكيكه في الدراما، فإن حلقات البحث ومنابر الفكر ومراكز النشر باتت مؤهلة وقادرة على تقديم رواية تاريخية ناصعة تتجاوز وضوح فتح خيبر وصمود حُنين، لما هو تبيّن الخيط الأبيض من الأسود، بين العدالة والبغي أو الحقيقة والشطط.

الحمد لله